نصيحتي لك

يا ولدي

قصص وتوجيهات تقود إلى النجاح والفلاح إن شاء الله.

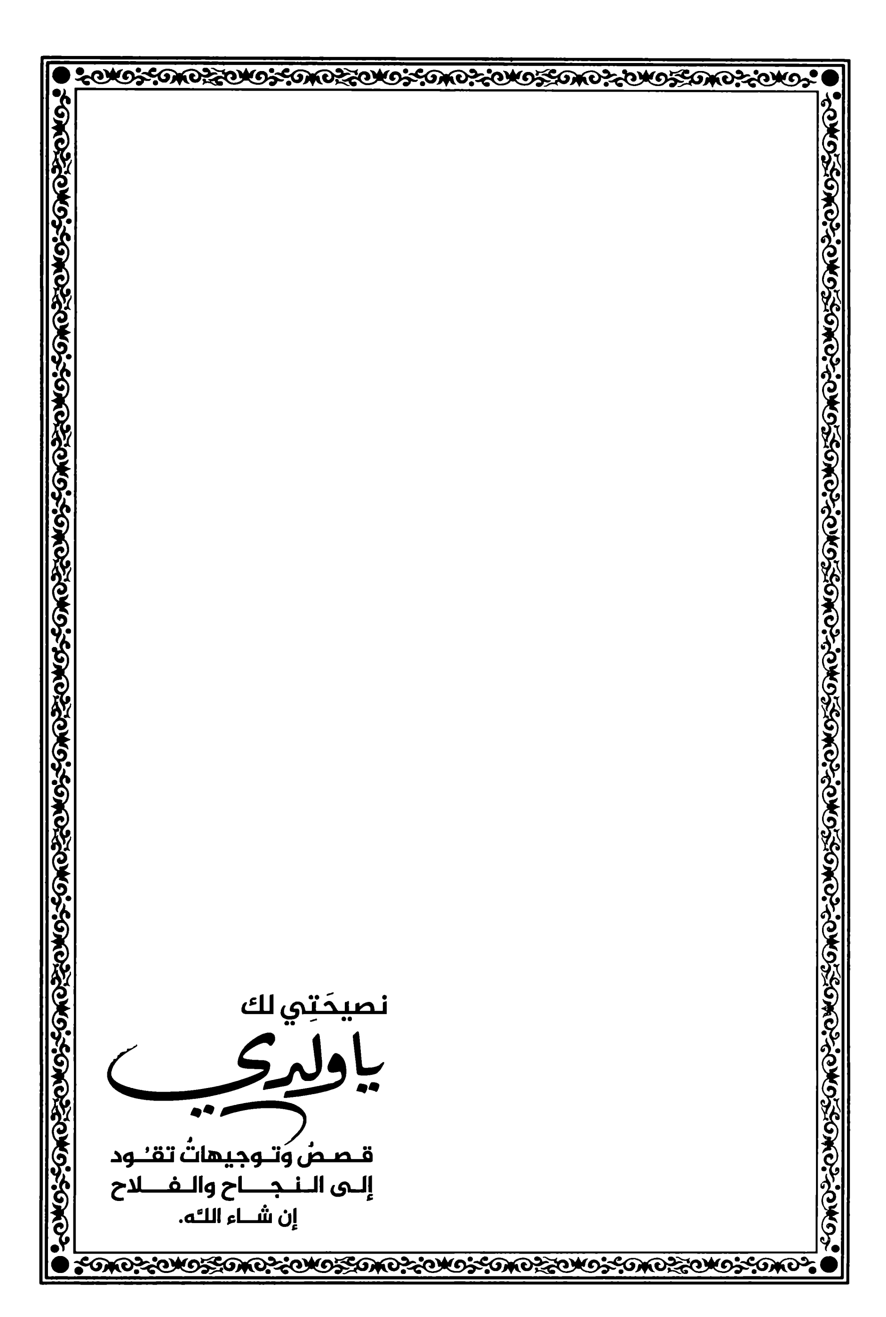
تأليف

أحمد بن ناصر الطيار





مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع


نصيحَتِي لك
ياولدي
قصصٌ وتوجيهاتٌ تقودُ
إلى النجاح والفلاح
إن شاء الله.

ح مؤسسة الحجاز الخضراء التجارية، ١٤٤٦هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار، أحمد بن ناصر
نصيحتي لك يا ولدي قصص وتوجيهات تقود إلى النجاح والفلاح إن شاء الله./ أحمد بن ناصر الطيار-ط١-
الرياض، ١٤٤٥هـ.
١٣٦ص ؛ ١٤x٢١ سم.

رقم الإيداع: ١١٧٣٧ / ١٤٤٦
ردمك: ٣-٦-٩٢٢٨٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)



المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ـ ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٠٥٨ـ ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ـ ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
القاهرة - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢ الإسكندرية - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
البريد الالكتروني: d.alhijaz@gmail.com



نصيحتي لك

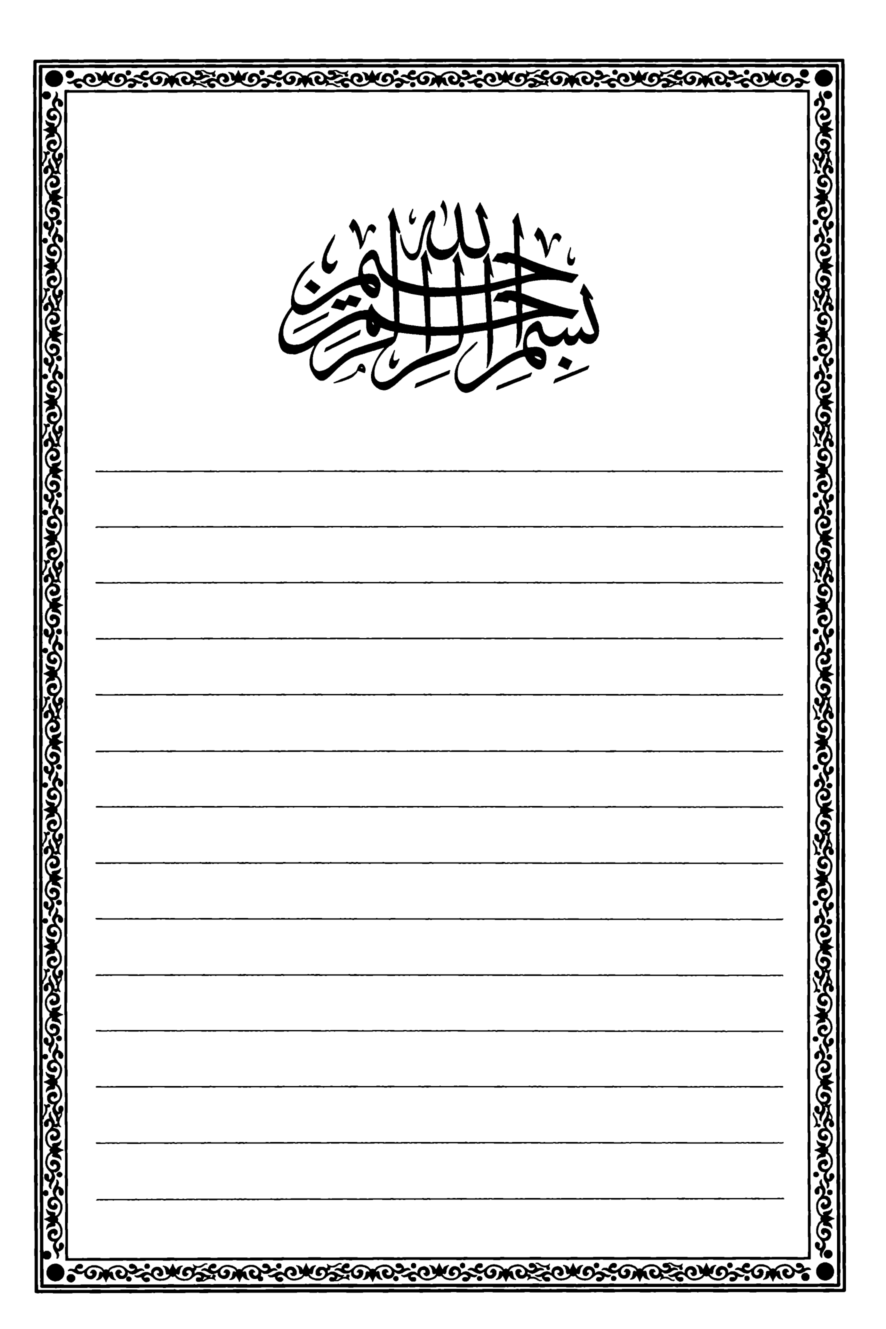
ياولدي

قصص وتوجيهاتٌ تقود إلى النجاح والفلاح إن شاء الله.

تأليف






بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإليك ـ **يا بنيّ** ـ وصايا أبٍ ناصحٍ مشفق خاض الكثير من التجارب، وتعامل مع أناسٍ مختلفةٌ توجهاتهم وأفكارهم وقناعاتهم، ومتنوعة مشاربهم وهمومهم، وسأروي لك قصصًا حقيقيّة، فيها الكثير من العبر والفائدة في جميع شؤون أمورك، والعاقل من استفاد ممن سبقه؛ ليبدأ من حيث انتهوا، لا من حيث بدؤوا.

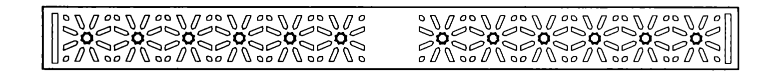
ولا تظنّ أنني جالس على أريكتي وأصوغ الوصايا والتوجيهات النظرية، بل ما كتبته لك هو خلاصةُ تجربةِ وخبرةِ ودراسةِ أكثر من خمسة عشر عامًا تقريبًا، خُضتُ خلالها تجربةَ التربية، وطرُقَ

التعامل مع السلوكيات الخاطئة، وكنت أتحرّى التعامل مع كل فرد بما يُناسبه، وأُكْثِر من التأمل في أسباب الأخطاء والانحرافات وعلاجها، وأمعنت النظر والفكر في تلمّس أسبابِ مَن نجح وعاش حياة الاستقرار، ومن فشل وعاش حياة البوار.

فها أنا أدلك على طريق النجاح لتنجح، وعلى سبيل الفلاح لتفلح، وأحذرك من طريق الفشل لتجتنبه، ومن سبيل الخسارة لتحيد عنه.

أسأل الله أن يجعل ما كتبتُه خالصًا لوجهه، ومقربًا إليه، ونافعًا لعباده، إنه سميع قريب مجيب.

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد الله بن نوفل بمحافظة الزلفي
والداعي إلى الله في وزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
١٤٤٤/١٢/٣



أسرع وأنجح طريق لجلب مصالحك والتخلص من أمراضك وهمومك: طاعة ربك

من كان مع الله كان الله معه، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه بتوفيقه، وفتح له أبواب الخير والهداية والسعادة.

وإذا كنت مع الله فالله معك، ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، فلا حزن مع الله، ولا خوف مع الله، ولا ضيق مع الله، ولا يأس مع الله، وإنما الحزن والألم والضيق والنكد لمن فاته التعلّق بالله، فمن وُفِّق في التعلّق بالله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فرّط في ذلك فبأي شيء يفرح؟

وما أجمل وأصدق ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أعرف العيش إلا لمن يعرفه جلّ شأنه، ويعيش معه، ويتأدّب بين يديه في حركاته وكلماته

كأنه يراه[١]. اهـ.

جاءتني رسالة صوتية من شابٍّ أخبرني بأنه قرأ كتابًا لي عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وسيرته، الذي هو بعنوان «عبقرية شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ».

قال: فحينما قرأته جاءتني شجاعة أن أُخبرك عن حالتي، إنني شاب محبط ومسحور، وقد كنت في السابق من الأوائل في الدراسة الثانويّة والجامعية، وكنت متميزًا بعقلي وذكائي وفهمي بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان الناس يتعجبون منِّي، وأسمع المدح الكثير جدًّا حتى أُصبت بالغرور، وكنت وأنا أختبر في الجامعة أقول: هؤلاء يذاكرون ويتْعبون، أمَّا أنا فلا أحتاج إلى المذاكرة، وأُجيب على الأسئلة مباشرة، فآخذ الدرجة كاملة، وكنت أحاول دفع هذا الغرور، لكن من كثرة المادحين وما أراه من توقد ذهني لم أستطع.

قال: وفي المستوى السابع والثامن انقلبت حالتي، فرسبت، ولم أتخيل أني أرسب، رسبت في الجامعة وأخفقت، وتغيَّرت حالتي، وتغيَّرت نظرةُ

---

(١) صيد الخاطر (ص٤٤٩).

الناس لي، وأصبحت انطوائيًّا، وأيقنت أني مسحور؛ لأن هناك علامات تدل على ذلك، وأُصبت بالإحباط الذي أصاب روحي وهمّتي بالشلل، وتركت الدراسة، وأنا الآن قد تجاوزن سنّ العشرين، وأعيش بإحباط وقلق نفسي.

والحمد لله، تعلُّقي بالله لم يتراجع؛ فأنا أحب الله وأتعلق به، لكنني محبط من نفسي، فأنا أحب أن أُقدِّم للدين شيئًا، أحبّ أن أنفع المسلمين، لكني كلّما بدأت في شيء أنْقطع عنه، فما هو العلاج؟

قال لي: أنا لا أريد منك علاجًا عن الوسواس والشيطان والجن والسّحر والهموم والإحباط والبطالة؛ فأنا أعلم بهذا منك أنت ـ هكذا قال لي ـ، وقضيتي هذه منتهية، ولا أظنك تأتي بجديد، لكني أشكو إليك الحال لعلّي أجد عندك شيئًا من روح الأمل.

فتحيَّرتُ، فهذا الشاب أغلق عليَّ الأبواب كلها، فيقول: أنا لا أريد علاجًا، أنا حالتي ميئوس منها، فكيف أُعالج هذا؟! المحبطون علاجهم صعب.

فقلت له: هل أتصل عليك؟ قال: نعم، فاتصلت عليه وسلَّمت عليه، وقلت: وفقك الله، لمست من صوتك روح التوقد الذهني، والهمة العالية، والنية الخالصة، والصدْق مع الله ﷻ، ولكنّك أغلقت عليَّ الأبواب حينما قلت: إن علاجي ميئوس منه، وأني أنا أعلم منك بهذه الأمور، فلا أحتاج إلى أن تُعطيني علاجًا في هذا الشيء، فكيف سأُعالجك؟!

ولكن ألهمني الله ﷻ، وقلت له: ما وصلتَ إليه دليلٌ على ذكائك وصبرك وقوتك ونبوغك؛ وذلك أنَّ الشيطان ـ كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ـ يتحيّل على الإنسان ليوقعه في واحدة من سبعة ولا بد: يدعوه إلى الكفر والنفاق ويزيّنه له، فإن لم يستطع أتاه عن طريق البدع، فإذا لم يستطع، سهل عليه الوقوع في الكبائر الباطنة من الغرور والعُجب، فإن لم يستطع أتاه عن طريق الكبائر الظاهرة، وإذا لم يستطع ذلك، سهل عليه الوقوع في الصغائر، فإن لم يستطع أتاه عن طريق المباحات، فأشغله بها، وصرف همّته في الاستمتاع بها، فإذا لم يستطع سلَّط عليه جنوده من

الجن والإنس والشياطين والسحرة والمردة فآذوه، وهذا الشيء لا يتخلص منه أحدٌ من الناس.

فقلت: احمد الله ﷻ على الثبات، هناك أناس مجتهدون في أمور دينهم ودنياهم، ومع ذلك حينما ابتُلوا بالسَّراء والضَّراء وجاءتهم الفتن والمناصب تزلزلوا أو ارتدوا أو انتكسوا، فاحمد الله أنَّ الله ثبَّتك، وإذا سلِم دينُك فكل ما سواه يهون.

فليتك تَحْلُو والحياةُ مَرِيرةٌ
وليتك تَرضا والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالمين خَرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ
وكلُّ الذي فوقَ التُّراب ترابُ

فاحمد الله على هذا الأمر، الذي هو دليل على أن عندك همةً عالية ويقينًا وصدقًا مع الله، وأن الله أحبّك، وإذا أحبَّ الله عبدًا ابتلاه سبحانه وتعالى.

فانشرح صدره بهذا الكلام، وقال: كلامك هذا فرّج الله به عن نصف همّي ومشكلتي، وبقي النصف

الآخر، وهو أنني أحب أنْ أخدم ديني، أريد أن أُقدِّم شيئًا لهذا الدين العظيم، وقد حاولت مرارًا ولم أستطع.

قلت له: أبشر؛ بما أنك سعيت وبذلت المجهود والله يعلم صدقك، فإنَّ الله ﷻ يكتب لك الأجر الذي كنت تطمح إليه، كأنك فعلت ذلك فعلًا تامًّا، وذكرت له قول النبي الله ﷺ: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالًا وعلمًا، فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالًا، فهو يقول: لو كان لي مثل مال هذا، عملت فيه مثل الذي يعمل**»، قال رسول الله ﷺ: «**فهما في الأجر سواء**»(١).

فأنت على خيرٍ عظيم بإذن الله ﷻ.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله قاعدة في هذا المجال، وهي أنَّ الإنسان إذا عزم عزيمة صادقة وبذل الأسباب، لكنه مُنِع من ذلك، فإنَّ الله يكتب له الأجر كاملًا.

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٠٢٤)، وابن ماجه (٤٢٢٨).

كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من رأى الْخَيْر وَعمل مقدوره مِنْهُ وَعجز عَن إكماله كَانَ لَهُ أجر عَامله؛ لقَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: «**إِن بِالْمَدِينَةِ رجَالًا مَا سِرْتُمْ مسيرًا وَلَا قطعْتُمْ وَاديًا إِلَّا كَانُوا مَعكُمْ**»(١). اهـ.

وتذكّر أنك لا تتعامل مع البشر تعاملاتٍ مادّيّة، بل أنت تتعامل مع الله، وأجرك عليه، وسيُعطيك على قدر صدقك وإخلاصك، لا على قدر عملك وتعبك، فالله ﷻ إذا رأى منك الصدق كتب لك الأجر ووفقك وسددك ولو ابتلاك، والله يبتلي العبد ليرى إيمانه وصدقه، فأرِ الله من نفسك الصدق والرضا، فكما أراك الله الابتلاء فأرِه الرضا بقضائه وقدره.

وأفضل المؤمنين عند الله: أخلصهم وأعبدهم له، وأشدهم افتقارًا إليه وتذللًا، وانقيادًا ومحبةً له، وليس كما يظنه بعضهم أنّ أفضلهم أكثرهم عبادة أو

(١) رواه البخاري (٤٤٢٣) ومسلم (١٩١١).

علمًا، أو نفعًا للناس، أو أشدهم زهدًا، مع خلوّه من المعاني المحققة لكمال العبوديّة لله.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من كانت عبوديته لله أكمل كان عند الله أفضل[١]. اهـ.

وضربت له مثلًا، وقلت: هذا أُويس القرني رحمه الله تعالى، أوصى النبي ﷺ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا رأى أُويسًا أن يستغفر له، فيقول له: استغفر لي، اطلب من الله أن يغفر ذنوبي.

وأويس لم يكن مشهورًا بالعلم، ولم يكن محدِّثًا، ولم يكن من قادة الجهاد، ولم يُعرف عنه أنه يصعد المنابر ليخطب ويتكلّم، ولم تكن له كتب، فأين مؤلفاته؟! وأين آثاره؟

لم يُنْقل عنه من أقواله وأفعاله إلا الشيء النادر جدًّا، لكنه كان صادقًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك حينما عرض عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكتب له إلى أمير الكوفة ليكرمه قال: أكون مع غبراء الناس أحبّ إليّ.

---

(١) جامع المسائل (٤/ ٢٨٩).

فهذا يدل على أنه ليس عنده كِبر ولا غرور ولا محَبّة للعلو مطلقًا، هذا هو الصدق مع الله، عنده تواضع وهضمٌ للنفس وإخلاصٌ وصدق مع الله، واجتهادٌ في طلب مرضاة الله ﷻ، وبعدٌ عن الشهرة وإبراز النفس، وهذه صفاتٌ عظيمة جدًّا، وإذا رأى الله منك هذه الصفات رفعك ولو لم يصدر منك كبيرُ نفعٍ متعدٍّ مادمت لم تستطع ذلك.

وأنت لم تستطع، فالله يعلم منك أنك حاولت وبذلت الجهد، ولكن لم يتيسّر لك ما أردت.

ففرح بما سمعه من هذا الكلام، ولمست منه الحماس، وقال: أعاهدك ألا أستسلم لنفسي وللشيطان، وأن أخرج من دائرة الإحباط واليأس، وأن أدعو الله وأرقي نفسي لأتخلّص من السحر، فكيد الشيطان ضعيف.

وبعد ذلك لازم الدعاء والصلاة، وحرص على الطاعات التي هي سبب كلّ خير، والخلاص من كلّ شر، فشفي من السحر الذي ابتُلي به، وتخلّص من الهمّ الذي كاد يقتله، وبحث عن عمل، فوفقه الله

للعلم النافع، وللعمل الذي يستغني به عن الناس، ثم تزوج بعد ذلك.

فسبحان ربي الذي أحيا روحه، وأيقظه من رقدته، وأزال عنه مرض الهم والغم والخمول واليأس.

ونستفيد من هذه القصة فائدتين:

الفائدة الأولى: عدم الاستسلام لليأس والإحباط وكيد وشرّ الشيطان النفْسي والبَدَني.

فيا بنيِّ، ويا بُنيّتي، حاربا الإحباط والكسل والهمّ وكيد الشيطان بصدْق اللجأ إلى الله، والتعلّق به، ولن تتخلصا من كل المعوِّقات والعقبات بمثل التوكل على الله، والإقبال عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، أي: كافيه كلّ ما أهمّه، ومعطيه كلّ ما سأله، ورادّ عنه كيد الأعداء، ومحبِّب له قلوب الأولياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن سَرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله[1]. اهـ.

---

(١) جامع المسائل (٣/ ٥٥).

الفائدة الثانية: أن تبادر بعرض مشكلتك على من تلْمس منه إفادتك، ممن هو أعلم أو أكثر خبرة وتجربة منك، فكم من مشكلة كانت في نظر صاحبها معضلةً وصعبةً ومستحيلةَ الحلّ، فلما عرضها على ناصح عالم خبير قاده للحل السهل، فكان رأيه وتوجيهه سببًا لخلاصه من همّ وألم شديد طال عليه.

والاستشارةُ لا يستغني عنها أحدٌ مهما كان عمرُه وذكاؤه وعلمه، فربنا ﷻ أمر نبيَّه ﷺ بأنْ يُشاوِر أصحابَه فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾.

فإذا كان النبي ﷺ قد أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه، وهو الملهم الْمُوحى إليه، فكيف بغيره؟

والمشورةُ هي منهج الحكماء والعقلاء، ولا يَستغني عنها الكبراءُ والفضلاء.

ولا يَعْدم مَن استشار خيرًا ونفعًا، ومكانةً وفضلًا.

قال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومي!

قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم[١].

الرأيُ كالليلِ مُسْودٌ جوانبُهُ
والليلُ لا ينجليْ إلا بإِصباحِ
فاضممْ مصابيحَ آراءِ الصِّحابِ إلى
مِصباحِ رأيِكَ تزددْ ضوءَ مصباحِ

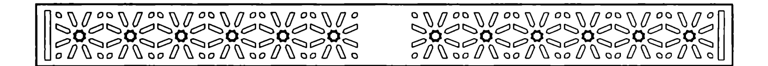
ومن أعظم ما تجنيه إذا اسْتشرتهم: رفعَ اللوم عنك لو أخطأت.

فإنْ هلكتَ برأيٍ أو ظفرتَ به
فأنت عند ذوي الألباب معذور

واستشر استشارةَ من يريد الفائدة ويطلب الحلّ ولو خالف هواه، ولا تستشر استشارةَ من يبحث عمن يُوافقه على ما يريد.



(١) عيون الأخبار ١/٧٣.



بوّابةُ زيادةِ النعم

غالب الشباب والشابات يعيشون في نعم كثيرة، وصحة وعافية وراحة، ومع ذلك يشعر كثيرٌ منهم بالملل والسآمة، والحرمان والنقص، فتسمع منهم التذمر والشكوى، وكأنهم لا يجدون ما يسد جوعهم، ولا يجدون مأوى يأوون إليه.

ومن أعظم أسباب هذا الشعور: تقصيرهم في شكر النعم التي أنعم الله بها عليهم، فهم يتقلّبون بنعم عظيمة، ويستمتعون بها، كالصحة، والفراغ، ووفرة الطعام والشراب، والأمن، والمسكن، ومع ذلك لا يحسون بجمالها ونعمتها ولذّتها، والسبب في ذلك: أنهم لم يشكروا الله عليها، فسلبهم اللذة بها، ولو وجدها من حُرِمها لطار فرحًا وسرورًا.

وقد ثبت في صحيح مسلم[1] أنّ النبي ﷺ قال:

---

(١) رقم (٢٧٣٤) عن أنس رضي الله عنه.

«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها».

فكل أكلة حمدت الله عليها يرضى عنك، وإذا رضي عنك زادك من فضله، وأفاض عليك من عطائه وجوده، وشرح صدرك، ورضّاك بما عندك، وقنّعك بما وهبك ولو كان قليلًا.

وهكذا كلّ نعمة أنعمها عليك فحمدته عليها رضي الله عنك.

والله لا يرزق عبدًا الشكر فيحرمه الزيادة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، قال الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله لَيُمَتِّع بالنعمة من شاء، فإذا لم يُشْكر عليها قلبها عذابًا»؛ ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة[1].

اتصل عليّ رجلٌ وقال: إني منذ سنوات وأنا أعيش حالة اكتئاب وملل، ولا أتلذذ بأي شيء

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص١٢٠).

عندي، مع أني متزوج وعندي أولاد وسيارة وبيت ووظيفة، وأنا في صحة وعافية، ومع ذلك أشعر بالنقص، وأن كل من حولي أحسن مني، وكثيرًا ما ألوم نفسي على الماضي.

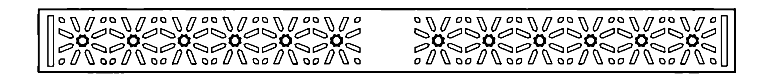
فقلت له: إن الله لا يعاقب أحدًا بسلب الاستمتاع بنعمه التي أعطاها له إلا بسببين:

السبب الأول: أن يستعمل هذه النعم في معصيته، كأن يستعمل بصره أو سمعه أو يده فيما حرم الله، وهذه من أعظم أسباب حرمان الاستمتاع بالنعم الذي يعانيه بعض الناس.

السبب الثاني: ألا يشكرها ويثني على الله بها.

فقال لي: أنا والله قليل الشكر لله، ودائم التسخّط والشكوى.

فقلت: جاهد نفسك على شكر النعم التي أكرمك الله بها، وسترى كيف يذيقك الله طعم التلذذ والاستمتاع بها، والفرح بها، الذي يجعلك منشرح الصدر، مرتاح البال.



سبب ضلال بعض الأولاد

يا بنيّ: طريق الهداية سهل، وآثارها العظيمة المباركة الطيبة عليك في حياتك وبعد مماتك لا تُحصى، فاسلك طريقها.

ولقد تأملت في حال كثير من الغافلين وسبب ضلالهم وانحرافهم، فرأيت أن سبب ذلك ثلاثة أمراض خطيرة جدًّا، والواحد منها كافٍ في غواية من ابتلي بها، فكيف إذا اجتمعت كلها في واحد؟

الأول: الكبر.

يا بنيّ، إنّ الكبر هو أوّل معصية عُصي الله بها، وهو من أعظم أسباب منعك من هداية الله، وهو سبب لحرمانك من الجنة، فقد قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

فالله وعد المتكبّر أن يصرف عنه آياته، أي: يصرف عنه التفكر والاعتبار في الآيات الكونية، وفهم كتابه الذي في صدره، وتضطرب عنده الموازين والحقائق، فيرى الحق باطلًا، والباطل حقًّا، والقبيح حسنًا، والحسن قبحًا، والناصحَ الأمين عدوًّا ثقيلًا، والعدوَّ والفاسدَ حبيبًا قريبًا.

أتعرف ما معنى الكبر وما معنى التواضع؟

قال النبي ﷺ: «**الكبر بَطَر الحق، وغمْط الناس**»[1].

أي أن الكبر هو:

١ ـ دفع الحقّ وعدم قبوله؛ كأن يثبت عندك وجوب الصلاة جماعة في المسجد، وبرّ الوالدين، والصدق، والأمانة، والصلة، ثم تُعرض عن القيام بهذه الواجبات ولا تعمل بها، فهذا دليل على كبرك وترفعك على خالقك الذي أمرك بها.

---

(١) رواه مسلم (٩١).

٢ ـ احتقار وازدراء المسلمين الضعفاء والفقراء، والعقلاء الراشدين، والكبار الناصحين المجرّبين، والعلماء الربانيين المخلصين، والوالدَين المشفقَين، وعدم إكرامهم واحترامهم.

ويترتب على ذلك: أنك لا تنقاد لآراء العقلاء والكبار والعلماء والوالدَين، ولا تأخذ بنصائحهم، بل تراهم مثلك أو دونك، فتعمل برأيك ولا تبالي بمُخالفتهم، فهذا دليل على كبرك وترفعك عليهم، وهم أكبر منك سنًّا، وأكثر منك علمًا، وأقدم منك تجربة.

فالكبر معنىً أشمل وأعمّ من احتقارِ الفقراءِ، فقد تحبهم وترحمهم وتجالسهم، وتكون مع ذلك متكبرًا إذا لم تقبل الحقّ أو احتقرت من هو أعلم وأكبر منك ولم تأخذ عنهم، ولم تستنر بآرائهم وتجاربهم، بل تُعجَب بآرائك، وتستقلّ بتجاربك.

والتواضع لله هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: جعلُ العبدِ نفسَه وضيعًا لله تعالى،

وهو العبوديّة له[١]. اهـ.

واسمع يا بنيّ إلى هذه القصة: اتصل عليّ رجل يجحد القرآن والإسلام، وسرد عليّ بعض الشُّبه، فأجبته عليها ثم قلت له:

أريد منك ثلاثة أمور:

١ ـ أنْ تقرأ القرآن بنيّة الهداية.

٢ ـ أن تدعو الله بصدق أن يهديك للحق.

٣ ـ أنْ تُزيل عن قلبك الكبر والاستعلاء.

فاتصل عليّ بعد يومين وقال: لقد هداني الله بعد طول إعراض وجحود.

ووجدت الأمن والراحة بعد طول همّ وضيق.

ولو مكثتُ شهرًا على هذه الحالة لانْتحرت من الهمّ والضيق والحيرة.

ولقد تأملت في الآيات التي كنت أراها دالّةً على نقْصه فإذا بي أراها دالّةً على إعجازِه وكماله.

---

(١) مجموعة رسائل ومسائل متنوّعة (ص٤٩).

ولقد تعجّبت مليًّا في جحودي له مع وضوحه وكماله وإعجازه.

فقلت: لأنك كنت حينها متكبّرًا فصرف الله عنك فهم كتابه والإيمان به، قال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾.

فتأمل كيف هدى الله هذا الجاحد لكتابه ودينه في يومين فقط، حينما صدق مع الله ودعاه وطلب منه الهداية وطهّر قلبه من الكبر والعُجب.

فوالله لو دعوته وصدقت معه وطهَّرت قلبك من الكبر والعُجب لهداك وأعطاك.

الثاني: الكذب.

قلت يومًا لأحد الشباب المشهورين بالكذب: إن الله تعالى قد ذكر أن المنافقين عندهم قدرة عجيبة في فن الإقناع، وحَبْك العبارات، حتى يصدِّقهم مَن سمعهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾، أي: أي أنهم من حسن منطقهم تستلذّ لاستماعه، وتقبلُ عذْره، وتصدِّق خبره.

فلا تظن أن ما أعطاك الله من قدرتك على

الحديث وإجادتك وإتقانك للكذب والخداع خير لك، بل هو دليل على تجذّر النفاق فيك، فأنصحك أن تدع الكذب لتسلم من النافق.

إنّ الكذب صفة متى اتصفت بها قادتك وأوصلتك إلى كلّ الصفات السيئة والأخلاق القبيحة، بل هو شرّ الأخلاق القبيحة، ورأسها وأساسها وجالِبها وقائدها.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّابا**»(١).

فالصادق قد جمع خصال الخير كلها، والكاذب قد جمع خصال الفجور، والفجور: هو اسم يجمع خصال الشر كلها.

والكذب بوّابةٌ لكلّ شر؛ لاعتقادِ فاعله أنه ساترٌ لكلّ أخطائه وأفعاله المشينة.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

وشرّ ما في الإنسان لسان كذوب، ولهذا يجعل الله تعالى شعارَ الكاذبِ عليه يوم القيامة وشعارَ الكاذبِ على رسوله ﷺ سوادَ الوجه، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

والكذب له تأثير عظيم في سواد الوجه، والكاذب يرزقه الله تعالى مهانة وبُغضًا، فمن رآه كرهه واحتقره، والصادق يرزقه الله مهابة وجلالًا، فمن رآه هابه وأحبه.

وتأمل قول النبي ﷺ وهو يهدد الكذابين: «**ويل للذي يحدّث فيكذب ليُضحك به القوم ويل له ويل له**»(١).

هذا الويل لمن يكذب ليدخل السرور على الناس، فكيف بمن يكذب ليغدر بهم، أو يخونهم، أو يغشّهم، كيف سيكون حاله؟

ومن عقوبة الكذاب في الدنيا: أنه لا يُصدَّق بما صدَق به من حديث أو خبر أو شكوى أو غيرها.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠٠٤٦)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، وحسّنه.

وما أشدّ عقوبة الكاذب يوم القيامة! فقد جاء في صحيح البخاري[١] أن النبي ﷺ قال في رؤياه الطويلة التي رأى فيها حال الناس يوم القيامة: «**ورأيت رجلًا يُشَرْشر شدْقُه إلى قفاه**» أي يُقْطع جانبُ فمه، حيث يأتي ملَك بحديدة، ويأخذ بطرف خده إلى الخلف، وهكذا يقطع خده إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، أي يقطع أنفه ويكسره إلى آخر رأسه، وعينه إلى قفاه، فيُدخل الحديدة في عينه ويجرها إلى قفاه، فسأل النبي ﷺ عن جريمة هذا الرجل؟

فأخبره جبريل بأنه كذاب يحدث بالكذبة، فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنع به إلى يوم القيامة.

الثالث: حبّ الدنيا.

الذي يؤدي إلى التعلّق بملذّاتها كعشق المال ولو بالحرام، وعشق اللهو ولو كان مما حرمه الله، ونهايته عذاب أليم في دار الجحيم، وعشق المخاطرة لأجل

---

(١) (٧٠٤٧).

بلوغ الغاية بالمتعة ولو كانت قد تؤدي إلى مصائب خطيرة.

وإذا كان المريض ينظر إلى طيِّب الطعام فلا يشتهيه من شدة الوجع، ولو أكله ما تلذّذ به: فكذلك صاحب الدنيا الذي صرف جل همّه لها لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها، وليس في الدنيا أحلى ولا ألذّ منها.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها.

وسبب هذه الأمراض ومنشؤها وأصلُها: مرض واحد خطير جدًّا، وهو اتباع الهوى، وصلاحك وصلاح قلبك في مخالفة الهوى، إيثارًا لمرضاة الرب جَلَّ وَعَلَا.

وإذا عوّدت نفسك ـ **يا بنيّ** ـ مخالفةَ هواها: فسوف تتلذّذ بمخالفة هواك إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك.

وصدق الشاعر:

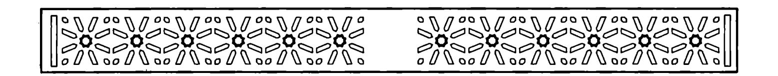
ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها
وفي نيلها ما تشتهي ذلٌّ سرمدِ
فلا تشتغل إلا بما يكسب العلا
ولا ترضَ للنفس النفيسة بالرَّدِي

وما أجمل ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي قوة قهر الهوى لذةٌ تزيد على كل لذة، ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلًا؛ لأنه قُهِر، بخلاف غالب الهوى؛ فإنه يكون قوي القلب عزيزًا؛ لأنه قَهَر؟![1]. اهـ.

ومَنْ يُطْعِمُ النفسَ ما تشتهي
كمن يُطْعِمُ النارَ جزلَ الحطبْ



(١) صيد الخاطر: ٩٣.



ما معنى الهوى وما مدى خطورته وكيف تتخلّص منه؟

أتدري ـ **يا بنيّ** ـ ما معنى الهوى، وما مدى خطورته، وكيف تتخلّص منه؟

أما معناه: فالهوى في اللغة: هو الميل إلى ما تهواه نفسُك:

ـ فإذا كان ميلك إلى ما تهواه نفسك في دائرة المباحات فلا تلام على ذلك، لكنك إن تماديت فستتجاوز حدّ المباحات إلى المحرمات.

ـ وإذا تجاوزت الحدّ، ولم تهتمّ إلا بتحقيق رغباتك وشهواتك ولو كانت حرامًا فإنك تلام على ذلك.

وأما خطورته: فتتضح لك في الآتي:

أولًا: أنّ كل شرّ حصل عليك في دينك ودنياك فهو بسبب اتباعك لهواك؛ لأنه يُعارض ويُناقض العقل

السليم، والدين الصحيح، والفطرة السويّة، ومن خالف هذه كلّها فلا شبَه له إلا الحيوان، الذي لا يحكمه دينٌ ولا عقلٌ، والصبيّ الذي لا يهتمّ إلا بطعامه وشرابه ونومه ولعبه.

بل والله إن هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم أضلّ من الحيوان، فالحيوان خُلق ليأكل ويشرب وينام ويلهو ويتناسل، وبعد موته لا يُحاسب لأنه لا تكليف عليه، وأما هؤلاء فلم يُخلقوا لهذه الأمور، بل خُلقوا لغاية واحدة شريفة وهي عبادة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، وإذا ماتوا ولم يحققوا العبودية لله عذبهم الله في نار جهنم، ولا يخرجون منها أبدًا.

فمن أعقل: الحيوان أم الذي يتّبع هواه؟

ثانيًا: أن الله ﷻ وصف متبع الهوى بصفات عديدة قبيحة، وإليك بعضها:

الوصف الأول: الجهل وعدم العلم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨﴾.

الوصف الثاني: الظلم، قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

الوصف الثالث: الاستكبار، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

الوصف الرابع: التكذيب بالحق، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

الوصف الخامس: الغفلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

فكلّ هذه الصفات الخسيسة والرديئة ستجتمع فيمن اتّبع هواه عافانا الله من ذلك.

فالذي يتّبع هواه لن يقبل الحق لأنه يُخالف هواه، وهذا هو التكبر، وسيجحد الحق الذي جاء من الله، وسينبذ الرأي السديد الذي جاء من العقلاء والعلماء؛ لأنّ الموازين عنده مضطربة ومنتكسة، فيرى الحق باطلًا والباطل حقًّا، وهذا هو التكذيب بالحق، وعنده حرص وشرَه على نيل كل ما يهواه، وسيضطر للكذب، فالكذب من طبعه وسجيّته.

فإذا اتصف بهذه الصفات كان ظلومًا جهولًا، والجهل عدم العلم، وعدم العمل بالعلم، وهذا هو الضلال، وصدق الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

واسْتولت عليه الغفلة وأحْكمت قبضتها عليه، فلا يقدر أن يتخلّص منها، ولا يستطيع أن يرعى مصالح نفسه ويقوم بها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

أي: «﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: ضائعة معطلة»[١].

وحينها يكون هواه هو معبوده وإلٰهه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، ويطبع الله على قلبه ويختم عليه، فلا يعي الخير، ولا يقبل الحق، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

فلا أضل منه والعياذ بالله، ولا أضيع لمصالح

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٥).

نفسه وغيره منه، كيف لا، وقد رضي أن يكون إلـٰهه هواه، لا خالقه وربّه، فمهما أراد شيئًا فعله، ومهما كره شيئًا تركه.

ثالثًا: أن الله لم يجعل للجنة طريقًا غير مخالفة الهوى، ولم يجعل للنار طريقًا غير متابعته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات**»(١).

أي: أن الجنة مُحدَقَة بأنواعِ الشدائد والمشقات، وهي عبارة عن التكاليف الشرعية من الصوم والصلاة والحج والزكاة ومكارم الأخلاق، فإنها ثقيلةٌ على الأنفس.

فإذا امتثلَت أوامر الشرع فقد قطعَت مفاوزَ المشقات العظيمة من التكاليف، فاقتضت الحكمة

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإلٰهية أن تحصلَ لك الجنةُ الباقيةُ؛ جزاءً لذلك الاحتمال العظيم في التكاليف، رزقنا الله سبحانه إياها بفضله.

وكذلك النارُ مُحدَقة بالشهوات، وهي عبارةٌ عن الدّنيا ومستلذّاتها ورغباتِ وشهوات النفس، كاللهو والنظر للحرام ومشاهدته، وسماع الغناء المحرم؛ فإن النفوسَ مائلةٌ إليها طبعًا، والشيطانُ مساعدٌ لها طوعًا، أعاذنا الله تعالى منها برحمته.

ولو كان عندك طريقان:

أحدهما: طريق ضيّق وعْر مرتفع يُرْتَقَى بمَشقةٍ، وفي وسطه أرض منبسطة فيها بعض الماء والطعام، وفي نهايتِه بستان جميل فيه ما لذّ وطاب من الطعام والشراب.

والآخر: طريق واسعٌ منحدِر سهل المشي عليه، فيه بعض الماء والطعام، وفي وسطه وعورة وضيق وحرّ، وفي نهايتِه حفرة خطيرة تكون نهايتُك فيها.

فأيّهما تختار؟

وهكذا هو طريق الانحراف واتّباع الهوى،

ستجد في بدايته بعضَ المتعة والسّعة والراحة؛ لأنك ستفعل ما تحب، وتترك ما تكره، وسترتع في الملذّات والشهوات، لكن هذه الحالة لا تدوم، فسرعان ما يعود عليك شؤم المعاصي، فتشعر بالضيق والهمّ الذي يُعكّر عليك صفْو اللذات والمتع، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، ثـم إذا مت على هذه الحالة فستدخل نارًا حرّها شديد، وقعرها بعيد، وسلاسلها وأغلالها من حديد، تخلّد فيها أبد الآبدين.

وأما الاستقامة على دين الله ففي بدايته بعض المشقة، بالتزامك بأداء الفرائض، وترك المحرمات، وإذا صبرت وجاهدت نفسك مدة يسيرة أفاض الله عليك من السعادة والأنس، ما هو أحلى وألذّ من الطعام والشراب، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾، ثم إذا مت على هذه الحالة فستدخل جنة عرضها السماوات والأرض برحمة الله، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فلا أظنّك ستختار طريق أهل الهوى الذي نهايتُه

عذاب وشقاء، بل ستختار طريق أهل الاستقامة الذي نهايتُه راحة وسعادة.

رابعًا: أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم والإيمان فإنه سيزيغ ويضلّ إذا اتَّبع هواه، قال الله تعالى عن نبيّه داود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وذكر الله قصة العبد الذي أعطاه الله آياته وعلّمه لكنه اتّبع هواه فسَلخه الله من لباس الولاية والإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

فإذا أضلّ هذا العالم الذي آتاه الله آياته، وهو كتابه، فحفظه وفهمه، فكيف بغيره؟

ولا تظنّ أنك في مأمن من الضلال ولو كنت عالمًا كبيرًا، فمتى اتّبعت هواك وأخلدت إلى دنياك أضلك الله ـ أعَاذَك الله من ذلك ـ.

فإيَّاك واتباع هواك، فمبدؤه استمتاع وفرح، ووسطه كبر وبطر، ونهايته عذاب وندم وترح.

خامسًا: أني جربت التعامل مع الذين يتَّبعون

أهواءهم، ويميلون إلى تحقيق رغباتهم، فرأيتهم جمعوا كلّ جهالة، وارتكبوا كل حماقة، ورأيت الهوى يعصف بهم يمنة ويسرة، ويقلّبهم في كل وادٍ، ويسلك بهم في كلّ طريق، مع أنهم من أذكى الناس.

وكنت أناقشهم وأبيّن لهم أخطاءهم وحماقاتهم، وأجادلهم بالحجج العقلية والمنطقية، فلا يقرّون بها ولا يسلّمون، وكيف يسلّم ويقرّ من غطّى الهوى عقله؟

وإذا أقروا أحيانًا فلا يقدرون على مخالف أهوائهم لأنهم اعتادوا عليها، وتمكّنت منهم، وهنا مكْمن الخطر.

كنت أحاول إقناع شابٍّ عصف به الهوى، وأُشرب حبّ اللهو واللعب والكسل، وغفل عن طاعة ربه، وعن بر والديه، واستعملتُ معه كل الأساليب التي قدرت عليها، وأجلسته مع عدد من الناصحين والعلماء، ومع مَن كان على مثل حاله فكبر وندم على ماضيه، ومما قال له: لقد ندمت على اتباع هواي، وكثرة الجلوس الفارغ مع الأصدقاء، فلم أستفد شيئًا، وها أنا بلا وظيفة ولا زوجة، وأخي الذي هو أصغر

مني تزوج وعنده كسب طيب، فإياك أن تسلك مثل ما سلكت، فتندم كما ندمت.

فلم تؤثّر عليه تلك النصائح والمواعظ والتجارب.

وقال لي مرةً: إني والله مقتنع بكل ما تقوله، وكلامك هو عين الصواب، والحق فيه أوضح من الشمس في رابِعَة النهار، ولكني لا أستطيع اتباعه، ولا أقدر على تغيير طبعي، وسلوك طريق الحق والصواب!

فقلت له: ماذا لو متّ على حالك هذه؟ كيف تلقى الله وأنت تعلم أنك على ضلال؟

فيسكت ولا يجيب.

فانظر إلى قوة سلطان الهوى، فإنه متى تمكن من صاحبه لا يستطيع الخروج من وِثاقه، ولا التخلص من سجنه، فتخلّص ـ **يا بنيّ** ـ من اتباع هواك؛

ـ لتعيش حرًّا من سجن هواك.

ـ وعزيزًا لا يغلبك الشيطان الذي هو أعدى أعدائك، «فلْتكن عندك أَنَفَةٌ أن تكون تحت قهْر عدوّك

الحقير، فإنَّ الشيطان إذا رأى منك ضعفَ عزيمةٍ وهمةٍ، وميلًا إلى هواك؛ طمع فيك، وصرعك، وألجَمَك بلجام الهوى، وساقك حيث أراد.

ومتى أحسَّ منك بقوَّةِ عزم، وشرفَ نفسٍ، وعلوِّ همَّةٍ؛ لم يطمع فيك إلَّا اختلاسًا وسَرِقَةً»[١].

وإني أشبه هوى الإنسان بالأغلال على عنقه، فمن كان لله تقيًّا، وحازمًا مع نفسه: كانت أغلاله رقيقة مرنة، يتحكم هو بها ولا تتحكم به، ولا تكون بيد غيره يقودُه حيث يشاء.

ومن كان عكس ذلك: كانت أغلاله غليظة قويّة، لا يستطيع الانفكاك منها، وهي بيد غيره من الشياطين، أو من جلساء السوء، أو العادات والطباع التي قل من يسلم منها.

سادسًا: أنه لا يمكن لمن يتبع ما تهواه نفسه ويطلب راحتها ولذتها أن يثبت على جادة صحيحة، ولا أن يسلك دربًا واضحًا ويستمرّ عليه، بل هو متقلبٌ مضطرب:

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٦٣٥) مع تصرف يسير.

ـ مرةً ينام الليل ومراتٍ ينام النهار.

ـ وحينًا يرافق هذه الصحبة ثم يتركهم ويصاحب غيرهم.

ـ ويأتي عليه وقت يكون مسرورًا فرحًا، وتأتي عليه أوقات يحمل جبال الهموم والغموم.

أتعلم لماذا؟

لأنّ الهوى متقلّب مضطرب، فهو يقلّب صاحبه، ويقلّب حياته ونومه وطريقه وصداقاته ومزاجه، ويلعب به كما يلعب الطفل باللعْبة، ويقوده حيث شاء كما يقود الرجل دابّته حيث شاء، فليس له إرادةٌ قويّة، ولا عزيمةٌ صادقة، ولا عقلٌ يميّز به، ولا دينٌ قويٌّ يردعه.

أرأيت ـ **يا بنيّ** ـ كرةَ الطين، تكون ليّنة تستطيع تشكيلها كيف تشاء، فإذا يبست فات أوان تشكيلها ليُبْسها.

وكذلك طباعك وأخلاقك وهواك، تستطيع ـ بعون من الله ـ أن تشكلها كيف تشاء، وتتحكّم بها، مادمت في مرحلة الشباب، وهي المرحلة التي ألان الله

فيك طباعك وأخلاقك وهواك، وأعطاك قدرة على تشكيلها وصناعتها، فأحسن تشكيل طباعك، وصناعة أخلاقك، وقيادة هواك.

فإذا فرَّطت في هذه المرحلة كان من الصعب عليك تغيير ما نشأت عليه، فإن نشأت على الكسل، أو السهر، أو حب اللهو واللعب والترف، أو الكذب، أو العقوق، أو تركِ الصلاة، أو التعلق بالجوال، فقد تعيش بقية حياتك على هذه العادات السيئة التي تأخذ بك إلى الحضيض، وتصبح في المجتمع بلا قيمة ولا مكانة، ولا توفق في عمل ولا زواج ولا حياة كريمة شريفة.

واعلم أنّ الشيطان الذي أقسم أن يُغويك يشمّ قلبك، ويتفقَّد همّتك، فإنْ رأى منك الاستهانةَ، والضعفَ، وغلبةَ الهوى: شنّ عليك الحرب الضروس في الوسوسة، والإغواء، والتسلّط، والتمنّي.

وإنْ رآك حازمًا، ورعًا، قويّ النفس، متغلّبًا على هواك، ضعُفَتْ وسوسته، وطَفِئَت نار سطوته، وقنع منك بأدنى حظّ يُصيبه منك، ولو بالتخفيف من

صولتك في العلم، والعبادة، ونفع الناس، وخدمة الدين.

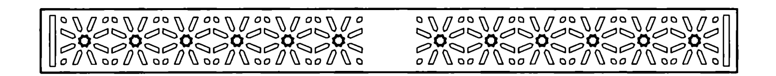
وأما كيف تتخلّص منه: فهو بِتَجْفِيف منابع هواك؛ **وذلك بأمور أربعة**:

الأمر الأول: بتحقيق الإيمان بالله في قلبك، فمتى قوي إيمانك بالله وباليوم الآخر وبالجنة والنار ضعف سلطان الهوى.

الأمر الثاني: بصحبةٍ صالحة ناصحة، تدلّك على الخير، وتحذّرك من الشر، وترى أفعالهم وأقوالهم المبنية على العقل والدين، فتُؤثّر عليك.

الأمر الثالث: بإشغال وقت فراغك بما ينفعك في دينك ودنياك.

الأمر الرابع: باحترام من هو أعلم وأكثر خبرة وتجربة منك، والأخذ منهم، واتباع توجيهاتهم، واستشارتهم في جميع شؤونك، وخاصة والديك، فهما أنصح الناس لك، وأرأفهم بك، وأعلمهم بحالك، وأكثر خبرة منك.



الآثار المترتبة على اتّباع الهوى

هذا المرض الخطير إذا حلّ بك ـ لا قدّر الله ـ قادك إلى المهالك، وفتح عليك أبواب الشر والأمراض النفسية والعضوية على مصراعيها؛ لأنّ اتباع الهوى يعني الوقوع في المعاصي ولابدّ، وكل الشرّ في معصية الله تعالى.

فقد رأيت كل داء وبلاء وحماقة وجهل قد اجتمع فيمن ابتلي بهذا المرض، ومنها:

١ ـ السهر، فهو يسْهر حتى يشبع من لهوه ومتعته، وينتج عن السهر أمراض كثيرة نفسيّة وبدنيّة.

٢ ـ عدم العناية بموعد طعامه وجودتِه، حيث يأكل متى شاء وما شاء.

٣ ـ كراهته للنظام الذي يقيد حريته، بل إن النظام أعدى أعدائه، فتصبح حياته في غاية الفوضى والتناقض والاضطراب.

فعنده مللٌ وسآمة من الجدّ والعمل، فلا يكاد يطيق الجلوس للتعلم، أو العمل النظامي ولو كان فيه كسبُ ماله وفكاكُه من ذلّ السؤال.

٤ ـ تقلّبُ مزاجه، مما يؤدي إلى كثرة تنقّله من لهو ومهنة وحرفة، وكثرة وتنوع أصدقائه.

٥ ـ الغلو في محبة الأصدقاء وصحبتهم والأنس بهم.

٦ ـ كثرة وشدة الهموم والغموم، والتي بسببها لا يطيق الجلوس لوحده بلا شيء يلهو به كالجوال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من آثار الذنوب على العبد: «ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادْلهم، فتصير ظلمةُ المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره؛ فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته»[(١)].

٧ ـ نفرته من البيت والأهل؛ لأن أهله يعتنون

---

(١) الجواب الكافي (ص٥٤).

بالنظام، في موعد الصلوات والأكل والنوم، وهو لا يريد أيّ شيء يقيده حتى صلاته.

٨ ـ نفرته من نصائح العقلاء، وتوجيهات الآباء، فلا يريد سماع إلا ما يهواه.

٩ ـ عدم مبالاته بالناس، فيجترئ على ارتكاب ما يهواه ولو كان قبيحًا، وربما صور نفسه في هيئة مشينة ونشرها.

١٠ ـ كثرة النسيان، وقلّة التركيز والفهم، وتشتت الذهن.

١١ ـ تعسّر الأمور عليه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من آثار الذنوب على العبد: تعسير أموره عليه، فلا يتوجّه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متعسرًا عليه، وهذا كما أن من اتّقى الله جعل له من أمره يسرًا، فمن عطّل التقوى جعل له من أمره عسرًا، ويا لله العجب! كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه، وهو لا يعلم من أين أُتِي؟»[١]

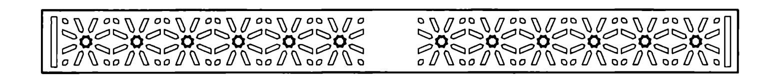
---

(١) الجواب الكافي (ص٥٤).

وهذه الآثار الخطيرة وجدتها ورأيتها كلّها أو بعضها في كلّ من ابْتُلي باتباع هواه، وحاد عن رضا مولاه سبحانه، فهل ترضى - **يا بنيّ** - أن تعيش طول حياتك وأنت مصاب بهذه الأمراض والآفات الخطيرة؟

يا بنيّ: لا تفكر في اللحظات التي تعيشها الآن فقط، بل فكر في الأيام والسنوات القادمة، وفكر فيما بعد الموت.





احذر أشد الحذر من الفواحش وانتهاك الأعراض

إنّ الآثار السلبيّة والمدمّرة الناتجة عن فاحشة الزنا والشذوذ ومقدّماتها كبيرة وعظيمة، وقد لا يراها من ولَغ فيها إلا بعد كِبَره وشيخوخته، فإياك وسلوك هذا الطريق المظلم، الذي يهوي بك إلى هاويةٍ أسفلها حفرة عميقة مميتة، ولو سقطت فيها لن تخرج منها إلا أن يشاء الله.

ومن أعظم آثارها ما يلي:

١ ـ ضيق الصدر والهم والغمّ الشديد.

٢ ـ الوسواس الذي يجثم على القلب والصدر، ويستولي على الدماغ، فيعيش حياة الشك والخوف الذي لا يُطاق، ولا يَحْتملُ مَن حوله مِن أقارب وزوجة وأولاد العيش معه.

اتصل عليّ رجل عمره قرابة الستين عامًا، قال:

عندي مشكلة عظيمة، وهي أنّ الوسواس قد نخر في جسدي، وقطَّع نياط قلبي، وشتَّت ذهني، وكدَّر خاطري، وأصبحت أشك في كل شيء، حتى في الله رب العالمين، وأخاف من الموت خوفًا لا يدعني أنام.

ومن شدة الهمّ والألم أصبحت كثير اللعن والشتم، وأصبحت أنفر من كلّ أحد، حتى هجرني الأصدقاء والأولاد، فأنا في البيت لوحدي، ولا أستطيع الخروج إلا بمشقة عظيمة.

وقد جاءتني هذه الحالة الحرجة منذ سنةٍ وسبعة أشهر، حينما كنت يومًا نائمًا، فاستيقظت على هذه الحالة فجأة ودون مقدمات.

فأيقنت أنّ هذه عقوبة من الله تعالى على عمل عظيم كان يعمله، فسألته: هل كنت تعمل بالمعاصي قبل ذلك؟

قال: نعم، كنت أمارس الفاحشة ـ والعياذ بالله ـ كثيرًا، وأنا متزوج كذلك، وتماديتُ في ذلك حتى أصبت بهذا المرض النفسي الخطير.

وأنا الآن لا أخرج من بيتي منذ زمن طويل، ولا أستطيع القيام من شدة الخوف والهمّ والقلق، ولا أجتمع بأحدٍ من الأقارب وغيرهم.

فأوصيته بالتوبة إلى الله تعالى.

فقال: هل لي من توبة؟

قلت: نعم، باب التوبة مفتوح، وإذا صدقت مع الله تعالى فرج الله عنك، وأزال همك، وغفر ذنبك.

إن هذه القصة عبرة لمن ابتلي بالفاحشة، ومن يسافر لأجل ممارستها، فلعلها توقظ قلوبهم قبل فوات الأوان، وقبل أن يُبتلوا بالوساوس التي تنخر العظام.

وأحدثك - **يا بنيّ** - عن زميلٍ لي في الدراسة، كان يسير على الطريق الخطأ، وكان يجاهر ببعض معاصيه، فأمهله الله حينًا من الدهر، فاستمرّ على غيّه ولم يعلم أن إمهال الله للعاصي لا يعني إهماله، وأن هذه اللذّات المحرّمة في الحقيقة «إنّما هي استدراجٌ من الله له، ليذيقه بها أعظم الآلام، ويحرمه بها أكملَ اللذّات، بمنزلة من قدّم لغيره طعامًا لذيذًا مسمومًا يستدرجه به إلى هلاكه.

قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

قال بعض السلف في تفسيرها: كلّما أحدثوا ذنبًا أحدثنا لهم نعمةً. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

وقال تعالى في أصحاب هذه اللذّات: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

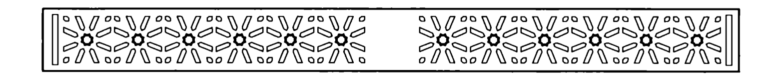
وقال في حقّهم: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وهذه اللذّات تنقلب آخرًا آلامًا من أعظم الآلام»[١].

مضت السنوات، فلما بلغ سنّ الأربعين أُصيب بمرضٍ نفسيّ مفاجئ، جعله يترك وظيفته وأهله، وينْعزل في بيته وحده، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) الداء والدواء لابن القيم رحمه الله (ص٢٣٥)، مع تصرف يسير جدًّا.



إياك والعقوق

لقد بحثت طويلًا عن بارٍّ بوالديه لم يُكتَب له التوفيق والبركة والسعادة، وعن عاقٍّ منشرحِ الصدر مُوفَّقٍ سعيدٍ: فلم أجد.

يا بنيّ: إنّ طريق التوفيق والبركة والرزق والجنة يمرّ عبر طريقِ برّك بوالديك.

وما مِن نصيحة من أبٍ أو أمٍّ عاقلَين إلا وهي صحيحة غالبًا، فاقْبل نصحهما.

إني لك من الناصحين.

والعاقّ لوالديه لا يُرجى خيرُه لأهله وأصحابه؛ لأنّ من لم يكن به خيْرٌ لوالديه ـ وهما أقرب الناس إليه وأعظمهم حقًّا عليه ـ فلن يكون فيه ذرّةُ خير لغيرهما.

واعلم أنّ الوالدين من أعظم أسباب دخولك الجنة، قال النبي ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم**

رغم أنف»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**». رواه مسلم.

فإن كنت قد فرّطت في البرّ والإحسان فتدارك نفسك ما دمت في زمن الإمكان.

يا بنيِّ: إن الله قد غرس في قلب والديك العاقلين الرحمة والحب لك، فمتى رأيت فيهما قسوةً وغلظة تجاهك فاعلم أنك قد بلغت الغاية في العقوق والاستهتار وسوء الأدب، فَنَزعتَ الرحمة والرقة والحب من قلبيهما.

فبيدك أنت غرس الرحمة والحب أو انتزاعهما، وحاسب نفسك قبل يوم الحساب العسير، وسَارع إلى برّهما ورحمتهما، والعطف والحنان عليهما.

وهنيئًا لك إذا كنت تُسابق إخوتك إلى برهما، والإحسان إليهما، وسيأتي يومٌ يتسابق أولادك إلى برك كما كنت تتسابق إلى بر والديك، فالجزاءُ من جنس العمل، وهذا من الجزاء المعجل في الدنيا مع ما يدخر للعبد المؤمن من الأجر.

وللبرّ طعم لا شبيه له في هذه الحياة سوى طعم الإيمان.

ويا **بنيِّ** برّ والدَيك يبرّك أولادك إن شاء الله، فالجزاء من جنس العمل، والحياة دَين ووفاء، فمن برَّ والديه برّه أبناؤه، قال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يُروى عنه: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**». رواه الحاكم وصححه[(١)]

وإنك لا تكاد تجد مَن عقَّ والديه إلا رُزق بأولادٍ يعقُّونه، ويُنغِّصون عليه حياته، ولا تكاد تجد من برَّ والديه إلا رُزق بأولادٍ بررَة يُدخلون عليه السرور والبهجة.

وقد حدّثني أحدُ كبار السنّ من الأقارب قال: كنت جالسًا عند والدي في المستشفى قبل وفاته بيوم، فقال لي: إنك جالسٌ عندي كما كنتُ جالسًا عند والدي قبل وفاته، رحمهما الله.

وكم مِن إنسانٍ عامَل أبناءه بأرقى الأساليب، وأحسن التعامل، ولكنه في النهاية لم يُوَفَّق في كسب

---

(١) (٧٢٥٨).

وُدِّهم، وصلاح حالهم، ولو فتَّش لرأى السبب الرئيس في ذلك: تقصيرَه في حق والديه، أو عدمَ اعتمادِه على الله سبحانه في تربيتهم، بل اعتمد على ثقافته وشخصيَّته.

وإنه لا سعادة ولا فوز ولا توفيق لك إلا في رضا والديك عنك، فكم من أناسٍ حُرموا لذة الحياة الدنيا، ولذة الأنس بأولادهم، والتوفيق في حياتهم، والأعمال الصالحة التي تُقربهم إلى ربهم، بسبب عقوق الوالدين وعصيانهما، فهم من نكد إلى نكد، ومن مصيبة إلى أخرى، فكانت عاقبتهم وخيمة، وخاتمتهم سيئة، بسبب عقوق الوالدين.

وهناك - **يا بنيّ** - مظاهر للعقوق خطيرة ويزداد خطرها لأن كثيرًا من الأولاد يرتكبونها ولا يدركون أنها من العقوق، فحينما يتكلّم ناصح عن خطر العقوق وحُرمته وعقوبته لا يخطر في بالهم أنهم مرتكبون لشيء من هذا العقوق، وهذه المظاهر تعتبر من العقوق لأنها مخالفة لرأي الوالدين الصائب الناصح في بعض الأمور، مثل:

١ ـ صحْبتك السيئة.

٢ ـ تأخرك في العودة إلى المنزل في النهار أو الليل.

٣ ـ إهمالك وعدم حرصك على دراستك.

٤ ـ قصَّة شعرك المخالفة وغير اللائقة بالمسلم.

٥ ـ تعاملك المقلق مع إخوانك وأخواتك.

٦ ـ تفريطك وتكاسلك في أداء الصلاة.

٧ ـ التقصير في القيام بأعمال المنزل الداخليّة من تنظيف وترتيب وطبخ بالنسبة للبنت.

٨ ـ التقصير في القيام بأعمال المنزل الخارجيّة، مثل عدم المبادرة في إحضار متطلبات المنزل بالنسبة للابن.

فهذه أمثلة وهناك غيرها.

ولو سألت نفسَك يا ولدي: هل والداك راضيان عنك في هذه الأمور؟

فإن كان الجواب: (لا)، فهل هذا برّ أم عقوق؟

فتدارك نفسك والتمس رضا والديك وأبشر بانشراح الصدر والتوفيق.

البرّ إحسانٌ وعطاءٌ،
وليس أداءً للواجب فحسب

قال لي ابني يومًا وهو في نهاية المرحلة الثانوية: لماذا تلومني وتعاتبني، فأنا بارٌّ بك؛ لأنك إذا طلبتني في شيء قمت به.

فقلت له: البرّ إحسانٌ وعطاء، ورحمةٌ ومبادرةٌ ومسارعةٌ إلى مرضاة الوالدين، وخفضُ الجناح لهما، والتذلُّلُ لهما، والدعاء لهما، وليس مجرّدَ تنفيذِ أوامِرهما.

والله تعالى قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

فانظر كيف قرن الأمر ببرهما والإحسان إليهما بتوحيد الله، فحقهما مقرون بحق الله، وهذا دليل واضح جليّ على عِظَم حقهما عليك.

وتأمل قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ قال العلامة عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أدنى مراتب الأذى، نبَّه به على ما سواه، والمعنى: لا تؤذهما أدنى أذية.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلامًا خشنًا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ بلفظٍ يحبانِه وتأدُّبٍ وتلطُّفٍ بكلامٍ ليِّنٍ حسنٍ يلذّ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما ذلًّا لهما ورحمةً واحتسابًا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أي: ادع لهما بالرحمة أحياءً وأمواتًا؛ جزاءً على تربيتهما إياك صغيرًا.

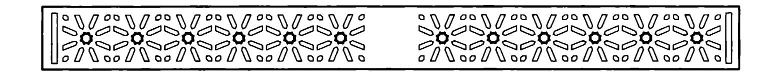
وفُهِم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه

تربيةً صالحةً غير الأبوين فإن له على من رباه حقَّ التربية»[١]. اهـ.

فإذا كان أبوك يجتهد في تعليمك ونصحك وهدايتك فحقّه أعظم، والإحسان إليه أوجب.



(١) تفسير السعدي (ص٤٥٦).



حارب الفراغ والكسل

حارب الفراغ والكسل، ومتى اجتمعا فيك اجتمع فيك كلّ شر، ولم تظفر بأي خير في دينك ودنياك.

والكسول الذي ليست له همّة في عمل جادّ وشغل ديني أو دنيوي: أشدّ الناس همًّا وغمًّا، فالكسل أساس السقم وضيق الصدر، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرحٌ ولا سرورٌ، بخلاف أرباب النشاط والجدِّ في العمل أيِّ عملٍ كان، فإن كان النشاطُ في عملٍ هُمْ عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته: كان الْتذاذُهم بحبِّه ونشاطُهم فيه أقوى»[1]. اهـ.

واعلم أن المكارم منوطةٌ بالمكاره، وأن

(١) روضة المحبين (ص١٦٨).

المصالحَ والخيرات، واللذاتِ والكمالات كلَّها لا تُنَالُ إلا بحظٍّ من المشقة، ولا يُعْبَرُ إليها إلا على جسرٍ من التعب.

بَصُرتُ بالراحة الكبرى فلم أرها
تُنال إلا على جسرٍ من التَّعَب

بل إن العاقل لا يرضا بالرَّاحة ولو ضُمنت له المكارم؛ كراهة أن يعتاد العجز والكسل.

وما أجمل ما قاله ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أنّ نفسَك بمنزلة دابّتك، إنْ عرَفتْ منك الجدّ جدّت، وإنْ عرفتْ منك الكسل طمعت فيك، وطلبتْ منك حظوظَها وشهواتها[١]. اهـ.

وهذه القاعدة هي المفتاح للدخول إلى عالم النفس العجيبة الغريبة الغامضة، وتزيل إشكالًا قد يرد على بعض الناس، وهو: ما سرّ نشاط بعض الناس من أصحاب الهمم والعزائم وعدم تعبهم فيما يسعون

---

(١) الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب: ١٩٧، مع شيء من التصرف.

إليه، وغيرهم يُصاب بالكسل والخمول، ولا ينجز كما أنجز هؤلاء؟

فيا لها من قاعدة قد أثبتها وقْع الواقع، وصدقتها جحافلُ التجارب.

وقد سُئل أحدُ حكماءِ العجم: ما هو أكبر عِبْء[١] يحمله الإنسان في هذه الحياة؟

فقال: عندما يشعر الإنسان أنه لا يحمل عبئًا على الإطلاق!

فالفراغ هو أكبر حمْل ثقيلٍ في حياة الإنسان رجلًا كان أم امرأة، لأنه لا هدف له في هذه الحياة، ومن لا هدف له يسعى لتحقيقه يمتلئ همًّا وغمًّا، وتتكالب عليه أعباء الحياة التي لا ترحم، ولن يستطيع حملها، وسيعجز عنها، وسيصاب بالحزن والندم والبؤس الذي لا يفارقه، وقد ينتهي به الأمرُ إلى التخلص من حياته، ليبدأ مرحلة جديدة، وهي الحياة الأخرى، التي سيواجه فيها جزاء كل ما عمل من خير

(١) أي: الحِمْلُ الثَّقيلُ.

وشرّ، وحينها تكون الأعباء أكثر وأعظم وأشد، فأيّ بؤس ينتظر البطال الذي لا هدف له في حياته سوى الأكل والنوم واللعب؟

وحتمًا ستموت يومًا مَا، وستموت معك طموحاتك وآمالك وشهاداتك وشهرتك ومنصبك، وستخلَّد آثارك وأعمالك التي عملتها في حياتك:

فإن كانت خيرًا: كانت نورًا وسعادة لك في قبرك ويوم لقاء ربك.

وإن كانت شرًّا: كانت ظلمةً وحسرةً عليك في قبرك ويوم لقاء ربك.

فازرع لك أعمالًا صالحةً قبل موتك، فإنك لا تدري متى يُباغتك!

وإنَّ دقيقة واحدة يتمناها الميت الكافر ليقول: لا إلٰه إلا الله؛ لينجو بها من النار.

ويتمناها مانع الزكاة ليخرج زكاته لينجو من النار.

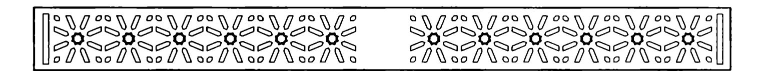
ويتمناها القاطع والكاذب والزاني وتارك الصلاة والعاق وآكل الربا ليتوبوا فينجون من العذاب.

وأنت تملك آلاف الدقائق بل أكثر، فلا تضيّعها فتندم كما ندموا.

وأعجبني قول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليحذر العاقل من لصِّ الكسل؛ فإنه محتالٌ على سرقة الزمان[١]. اهـ.



(١) صيد الخاطر (ص٣٨٤).



حارب السّهر

يا بنيّ، تأملتُ في حال الذين ينامون أوّل الليل وحال الذين يسهرون، فلم أر واحدًا ممن ينام مبكرًا فاشلًا، ولا مضطربَ المزاج، ولا يعاني من الأرق والاكتئاب، بل غالب الناجحين في أمور دينهم ودنياهم هم الذين ينامون مبكرين.

وأما الذين يسهرون فجلّهم يُعاني من هذه الأمور كلّها أو أحدها:

١ ـ الفشل في دراسته أو وظيفته.

٢ ـ اضطرابَ وتقلّب المزاج.

٣ ـ الأرق واضطراب مواعيد النوم.

٤ ـ شدة الغضب.

٥ ـ كثرة الأمراض، كالصداع، وآلام المعدة.

٦ ـ الغفلة والبعد عن الله.

٧ ـ الاكتئاب والهمّ وضيق الصدر.

وهذا ما تأمّلتُه في حال هؤلاء الذين يسهرون، وقد ذكر الأطباء والمختصون بعضها، وذكروا غيرها كذلك.

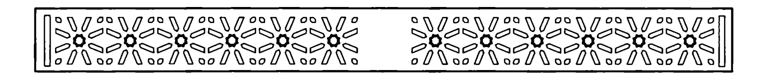
وسأذكر لك موقفًا حدث لي: استيقظت يومًا واستيقظ معي الهم والغم والاكتئاب الشديد، الذي لم أشعر به طول حياتي، فلازمني يومي كلّه، وفعلت الأسباب الشرعية والماديّة لإزاحته عني فأبى إلا أن يجثم على جسدي وقلبي، فرحمت الذين يُعانون من هذا المرض لأيام كثيرة.

فتأملت في السبب، فرأيت أني منذ مدة طويلة لم آخذ كفايتي من النوم لبعض الظروف، وتأخري في النوم، فقرَّرت في هذا اليوم أن أنام مبكرًا بعد صلاة العشاء مباشرة، فلما استيقظت وقد أخذت كفايتي من النوم شعرت أن أبواب السعادة والانشراح فُتحت لي، وزال عني ما وجدت من الهم والغم والاكتئاب، فحمدت الله تعالى، وتركت بعدها السهر، وألزمت نفسي أن أعطيها حقها في ساعات النوم.

فيا بنيّ، إن مرض الاكتئاب والهم والغم انتشر

في هذا الزمان، فإن كنت تعاني منه فقد أخبرتُك ببعض أسبابه، فكن حازمًا عاقلًا ودع السهر، وأعط بدنك كفايته من النوم.





حارب الفوضى في نومك وطعامك وعلاقاتك وعباداتك

يا بنيّ، لا تظنّ أنّ النظام يُفسد حياتك، ويُعكّر عليك اسْتمتاعك، بل هو من أعظم أسباب صلاح حياتك، وزيادة متعتك، واستقامة جميع شؤونك.

والتخبط من أعظم أسباب الفشل والملل، ومن اعتاد عليه كان مآلُه غالبًا للفشل والإخفاق، فلا نجاح ولا نهوض ولا استقامة على دين، ولا فلاح بدنيا إلا بترتيب وتنظيم.

أعطني ناجحًا لا يسير بنظام؟

أعطني دولة متقدّمة ليس فيها نظام صارم؟

لا ينجح الناس، ولا تنهض الدول والشركات والمؤسَّسات إلا بنظام دقيق.

ونفسك - **يا بنيّ** - كالحصان الجموح الشرس

العنيف، إن لم تُحْكِمْها حكمَتك، وإن حكَمَتْك قادتك إلى ما تشتهي هي، لا إلى ما تشتهي أنت.

والنفس تشتهي الراحة والنوم والخمول، وتنفر من الجدّ في عمل ديني أو دنيوي، وتركن إلى دناءة الأخلاق والطباع؛ كالعنف والكبر والحقد والحسد والانتقام، وما قيمتك إذا اجْتمعت فيك هذه الأمراض الخطيرة، والسجايا الرديئة، فلا ظفَرْت بدينٍ تضمن به آخرتك، ولا ظفرت بدنيا تستمتع بها في حياتك.

يا بنيِّ، أتعلم السبب الذي يجعلك تكره النظام؟

لأنك لم تحدد لك هدفًا واضحًا تسعى لتحقيقه.

إنّ أي إنسان يريد النجاح في الدين أو الدنيا: لابدّ له من ثلاثة أمور:

الأول: أنْ يضع له هدفًا يسعى إليه.

الثاني: أنْ يضع له خطةً دقيقةً يسير عليها.

الثالث: أنْ يُلْزم نفسه على التطبيق، ويُحاسب نفسه على التقصير.

وإنّ وضع الخطط والأهداف، لا يستغني عنه أحدٌ يعيش في هذا الكون.

بـل إنّ الـدول تـتـفـاوت قـوةً واقـتـصـادًا ونُـمـوًّا، بحسب أهدافها وخططها وأنظمتها.

فكيف لعاقل أنْ يسير في هذه الحياة غافلًا عن أهميّة التخطيط؟

والأهـدافُ والْـغـايـاتُ لـهـا ضـوابـطُ كـي تـكـونَ صحيحةً ونافعة، ومنْ أهمّ ضوابطها:

أولًا: أنْ تكون الأهدافُ معقولةً مُمْكنة، فبعض الناس قد يأخذُه الحماس فيضعُ خططًا لا يُطيقها، ولا يُمكنه الْمُداومةُ عليها.

ثـانـيًـا: أنْ تـكـون بـعـد دراسـةٍ واسْـتـشـارةِ أهـل الخبرة، ولا ينبغي للعاقل أنْ ينفرد برأيه.

ثالثًا: أنْ تكون مُحدّدةً دقيقة، لا عامَّةً واسعة.

فالذي لا يرسمُ لنفسِه هدفًا يطمح إليه، وغايةً يتطلّع إليها: لن ينجح في حياته، ولن يُوَفَّقَ في مَعادِه.

فإلى متى ستظل تسير على غير نظامٍ ولا خطّةٍ صحيحة؟

وإلى متى ستظل على طريقتك الخاطئة تتقلب وتتخبط وتنتقل من رغبة إلى رغبة، ومن هواية إلى هواية؟

واعلم أنَّ مِن أعظم سعادة الإنسان ولَذَّتِه أنْ يُتْقن الخطة التي رسمها لنفسِه، ويُحقق الهدف الذي يصبو إليه.

فَمِنْ أسعد أيام التاجر إذا أنجز عمله اليوم حسب الخطة التي رسمها ويطمح لها، بأن يربح ربحًا كبيرًا، ويُطور ويُنجز عمله دون خلل.

وأسعد أيام المزارع ذاك اليوم الذي يُنجز فيه عمله بإتقان، ويحصد الزرع ويقطف الثمار بيُسْرٍ ودون معوِّقات.

وأتعس أيامهم: اليوم الذي يخسرون فيه الأوقات بدون فائدةٍ ومنفعة، أو اليوم الذي تكاسلوا فيه عن العمل بلا عذرٍ غالب.

وهكذا أنت: أسعد أيامك ذاك اليوم الذي تجتهد فيه في تحصيل علم أو عمل نافع، وتُجهد نفسك لأجله، فما إنْ تخلد إلى فراشك ثم تستيقظ من نومِك الذي سبقه العناءُ والتعب إلا وشعرت بلذةٍ تأتي على تعبك كلّه فتُنسيك إياه، وتتبخر معاناتك في لحظةٍ واحدةٍ من هذه اللذة التي لا يشعر بها إلا من أحسّ بها.

وأشقى أيامك: تلك الأيام التي تقضيها بلا كدٍّ وجدّ، بل تمْضيها بالسهر مع الأقران، أو بكثرة الأسفار التي لا هدف من ورائها، أو بتشتت الفكر والتخبط دون أي هدفٍ.



إنك لا تساوي شيئًا إذا لم تكن في المكان المناسب

هناك قصة أعجبتني أنقلها كما قرأتها ثم أعلق عليها:

«قال الأب لابنه: «مبارك عليك التخرج، وهديتي لك سيارة فاخرة، لكن قبل أن تأخذها اذهب بها إلى تاجر سيارات في المدينة واعرضها للبيع لنرى كم يقوّمُها؟

فذهب الابن في اليوم الثاني وعاد إلى والده قائلًا: عرض عليّ عشرة آلاف ريال؛ لأنها قديمةٌ جدًّا.

فضحك الأب وطلب منه أنْ يذهب إلى معرض السيارات النادرة، ويعرض على خبراء المعرض أن يقوِّموا السيارة، فذهب الابن ثم عاد إلى والده بعد ساعات قليلة وقال له: عرضوا عليّ مائة ألف ريال؛

لأنهم يرون أنها سيارة نادرة، وهي في حالة جيدة.

فصمت الأبُّ ثم قال: أردت أن أُخْبرك أنك لا تساوي شيئًا إذا لم تكن في المكان المناسب».

فيا أيها الشاب ويا أيتها الفتاة، إنّ الله تعالى خلقك وحدّد لك الهدف والغاية من حياتك ووجودك في هذه الحياة، وهي عبادته وطاعته وتوحيده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، فإذا تمسكت بدينك، وعبدت الله كما أمرك: رفعك الله، وأعزك وشرّفك ووضع لك القبول بين الناس، فإذا حِدْتَ عن هذه الغاية الشريفة، التي تنال بها عزّ دينك ودنياك، كنت في المكان غير المناسب، فَقَلّ قدرك، وأذلّك ربك، وانحطّت قيمتك.

«وتأمل قوله تعالى ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ فإن طريق الحق تأخذ علوًّا صاعدةً بصاحبها إلى العليّ الكبير، وطريقَ الضلال تأخذ سُفْلا، هاويةً بسالكها في أسفل سافلين»[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٠).

فلما ذكر الهدى جاء بحرف «على» الدال على الاستعلاء والرفعة والصعود، ولما ذكر الضلال جاء بحرف «في» الدالّ على السُّفول والذلّة والهبوط؛ «لأنَّ صاحبَ الهدى مستعلٍ بالهدى، مرتفعٌ به، وصاحبَ الضلال منغمِسٌ فيه محتَقَر»(١).



(١) تفسير السعدي (ص٤١).

فكّر

يا بنيّ، اجعل لك أوقاتًا تعتزل فيها عن الناس وعن كلّ ما يُشغلك، تخلو فيها مع الله؛ تدعوه وتبثّ إليه همومك، وتتفكّر في حالك، وتتأمل في جميع ما تقوم به وتقضي به يومك وفراغك.

إنّ هذا التفكّر والتأمل يفتح لك أبوابًا كانت مغلقة، ويغلق عنك أبوابًا كانت مُشْرعة، ومع ذلك فأكثر الشباب والشّابات قد أهملوا هذا الأمر الضروري، فوقعوا في أخطاء وتصرفات أضرت بهم، ولو أنهم أعملوا فكرهم، وجلسوا جلسةَ تفكّر وتأمل في واقعهم وأهدافهم لكان هذا من أعظم أسباب توفيقهم للصواب، واجتنابهم لأخطاء لم يظنوها أخطاءً، أو لم يشعروا بفداحتها وخطرها.

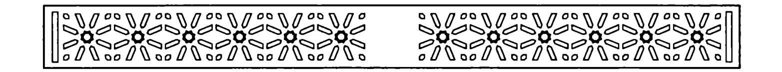
قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: تدبّرت أحوال الأخيار والأشرار، فرأيت سبب صلاح الأخيار النظر، وسببَ

فساد الأشرار إهمال النظر[١]. اهـ.

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنا قد تأملت ذلك فوجدته كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا أعرف صالحًا صادقًا موفقًا إلا وهو كثير التأمل والتفكر في أحواله، ولذلك أمرنا الله في آيات كثير بالتفكر والنظر وإعمال العقل.



(١) صيد الخاطر (ص٢٦٢).



انظر إلى مآلات الأمور وما يعقبها من خير وشرّ

يا بنيِّ، أتعلم أن لك عينين:

ـ عينًا في رأسك تبصر بها ما حولك.

ـ وعينًا في دماغك تُبصر بها عواقب أحوالك، ومآلات أفعالك.

فإنْ قدّمت بصر عينك وأهْملت بصر دماغك أشبهت الحيوان الذي لا تتعدّى همّته ما تُبصر عيناه، وتشتهيه نفسه.

وعندما تلوح لك لذّةٌ عاجلة: فدع العقل يتلمّح عواقبها، ويتأمّل في مآلاتِها، وستعرف هل هي لذّة خالصة محضة أم أنها ستعقبها حسرات.

وإنما فُضِّل العقل على الحسّ بالنظر في العواقب، فإن الحس لا يرى إلا الحاضر، والعقل يلاحظ العواقب والمآلات.

جرّب هذه القاعدة النفيسة في كلّ أمر ستُقدم عليه راغبًا فيه.

واعلم أنّك حينما تكون حريصًا على تتبع ما تشتهيه نفسك، فهذا يعني أنك تقول لعقلك: كفّ عن عملك، ولا أحتاجك أبدًا، وحينها ستحرّكك عاطفتك، وسيقودك هواك، والعاطفة والهوى حبلان في رقبتك بيد أعدى أعدائك، وهو الشيطان الرجيم.

واللذائذ والمتع في هذه الحياة نوعان:

النوع الأول: لذائذ ومتع محرمة، والحكمة من خلق الله لها؛ ابتلاؤك واختبارك: هل تتبعها أم تتبع شرع ربك، فإياك وإياها.

النوع الثاني: لذائذ ومتع مباحة، والحكمة من خلق الله لها؛ لتكون عونًا لبدنك على قطع مراحل الدنيا، ولم يخلقها لمجرّد الالتذاذ والتّمتع؛ بل جعل اللذة في هذه الحياة وسيلةً لإيصال النفع بها؛ لأن النفس تملّ وتسأم، فإذا استمتعت وتلذَّذت بما أباحه الله قَوِي عزْمُك، وتنشَّطتْ همَّتُك على القيام بالطاعات والعبادات.

فلا تجعل اللذة والمتعة غاية، بل اجعلها وسيلة، لتكون جميع متعك ولذّاتك عبادة وقربة تُؤجر عليها، كالتذاذك بالطعام والشراب والسفر والنزهة والنكاح.

«وأخذ الراحة للجدّ جدّ»(١)، وأخذها لمجرد اللهو واللعب بلا هدف خَوَرٌ وسفاهةٌ وإضاعةُ وقتٍ ستُحاسب عليها يوم القيامة.

ولا تظنّ أن اللذة والمتعة والراحة محصورة في لذة الجسم باللعب والترف والنوم، بل أعظم لذة في هذه الحياة: لذة العلم النافع ولذة العِبَادة الخالصة.

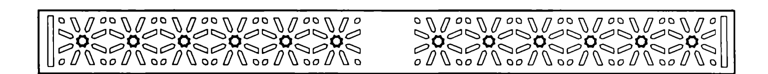
قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما أعرف مَن عاش رفيع القدر بالغًا من اللذات ما لم يبلغ غيره إلا العلماءَ المخلصين والعُبَّادَ المحقِّقين؛ فإن لذة العلم [والعبادة] تزيد على كلِّ لذة(٢). اهـ.

فعليك بتحصيل هاتين اللذتين اللتين هما ألذّ شيء في الوجود، وهما اللتان تؤجر عليهما، وتنْتفع بهما أعظمَ النفع بعد موتك.

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٢٥٣).

(٢) صيد الخاطر (ص٣٠٠).



هل لباسي هذا لم يُعجبك؟

كنت يومًا في اجتماع مع أبي وإخواني وأخواتي، فدخلت علينا إحدى بناتي وهي في المرحلة الثانوية، فرأيت لباسًا لم أره من قبل، ولم يكن معتادًا أن تلبسه، حيث يميل إلى الضيق والقِصَر بعض الشيء، فتضايقت وقلت لها: ما هذا اللبس يا بُنيتي؟

فقالت لي: هل لباسي هذا لم يُعجبك؟

قلت: نعم، قالت: سأغيره الآن، فذهبت ولبست ثوبًا آخر أستر وأوسع.

ففرحت فرحًا عظيمًا لأدبها وحرصها على رضاي، ودعوت الله لها من قلب صادق، والجميع أكبر فيها هذا الخلق الجميل، والموقف النبيل.

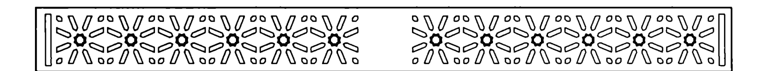
ونستفيد من هذا درسًا: وهو أن الولد العاقل المؤمن هو الذي يبحث عن رضا والديه، فإن من أرْضى والديه لله في غير معصية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ووفَّقه، قال

رسول الله ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين**»[1].

ودعوة الوالد في مثل هذه المواقف غالبًا ما تكون مستجابة؛ لأنها تخرج من قلب صادق خالص.



(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم: ٢، والترمذي (١٨٩٩)، وانظر «السلسلة الصحيحة» ٥١٦.



حوار هادئ مع ولدي

قال لي يومًا ولدي حينما أنهى دراسته الثانوية: أريد السفر إلى ذلك البلد ـ وهو بلد غربي ـ، فقد ذهب صاحبي إليها وأثنى على طبيعتها وأجوائها.

فقلت: عن ماذا تبحث؟

قال: عن السعادة، أريد أن أستمتع بحياتي وشبابي، فإني أشعر برغبة ملحّة في المتعة بالسفر وغيره.

فقلت: سأسألك أربعة أسئلة:

السؤال الأول: أريد أن تضمن لي أمرًا واحدًا؟

قال: وما هو؟

قلت: ألا تموت في لهوك ولعبك وغفلتك!

فسكت برهة من الوقت.

قلت: **يا بنيِّ**، الحياة قصيرة، وكم من إنسان مات في غفلته وضلاله، فماذا استفاد؟

سيحاسب على كلّ أعماله وأقواله، وعلى كل صلاة أضاعها، وعلى كل طاعة واجبة فرّط فيها، وعلى كل ذنب اقترفه.

الخسارة في الآخرة ليست خسارة مال ومنصب ومتعة، بل هي خسارة نفسك وأهلك، وهي الخسارة الكبرى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾.

السؤال الثاني: هل تضمن لي زمنًا محدَّدًا تكتفي فيه من اللهو واللعب والسفر؟

لقد قلت لي - **يا بنيِّ** - قبل سنوات: أريد أن أستمتع بشبابي مادمت في صغري، وإذا تخرجت من المرحلة الثانوية بدأت حياة الجدّ.

فقلت لك حينها: **يا بنيِّ**، إن الغالب على من جعل اللعب واللهو همّه فلن يستطيع تركه ولو كبر، فإني أعرف كثيرًا من الناس سلكوا طريق اللهو واللعب والغفلة فما استطاعوا الانفكاك والتخلص من هذا الطريق، فكبروا وهم على لهْوهم وغفلتهم، ومنهم من تجاوز الثلاثين، بل ومنهم من تجاوز الأربعين ولم

يتزوج ولم يعمل، ولازال في لهوه وغفلته مع أصدقائه وفي استراحته.

وها هو قد صدق كلامي، فأنت تقول لي بعد تخرجك مثل ما قلت لي أيام دراستك في المرحلة المتوسطة.

إنّ عشق اللهو واللعب والسفر مخدّر، يجعلك لا تشعر ولا تحسّ إلا بما يُمتعك، ويعطّل عقلك، حتى إذا انتهى مفعول المخدر استفقت على الحقيقة والواقع المؤلم المرّ، فتتجرع مرارات وآلامًا وغصصًا تكاد تُنهي حياتك، وتقضي على ما بقي من أملك وطموحك.

ولقد أمضيتَ من عمرك منذ إدراكك قرابة عشرة أعوام، قضيت أغلبها في اللهو واللعب والسفر، وما شبعت، فمتى تشبع وتكتفي؟

أخشى ألا تشبع حتى تنقضي زهرة العمر، وتدخل مرحلة الكهولة أو الشيخوخة، ولم تعمل ولم تتزوج، وحينما ترى أصدقاءك وأقاربك قد تزوجوا وعملوا، فتهجُم عليك الهموم والأحزان هجومَ السّباع على الظبي فتُمزِّقها، ولا تستطيع الخلاص منها.

السؤال الثالث: أليس هناك الكثير مِن الناس الذين ملؤوا أوقاتهم باللهو واللعب والسفر فملّوا، وتكالَبَت الهموم وانْهالتْ عليهم من كلّ حدَبٍ وصَوْب، وأصابتهم الأمراض النفسيّة والعصبيّة، ولولا إيمانهم لانتحروا وأَنْهَوا حياتهم؟

يا بنيّ، لقد بحثت عن السعادة قبلك عندما كنتُ في مثل سنّك، حيث كنت كثيرَ السَّفر، وكثيرًا ما أخرج إلى أماكن التَّرفيه والتَّسْلية للتَّرويح عن النَّفس، واقْتنيتُ بعض الحيوانات والطيور؛ طلبًا للسعادة الحقيقية، لكني لم أجدها، فطريق السعادة واحد لا ثاني له، إنه في الاستقامة على الصراط المستقيم.

وأنا حينها لم أكن منحرفًا بحمد الله، لكني لم أكن مستقيمًا على الدين كما أمر الله، بل كنت أحبّ اللهو واللعب والسفر، ولم أحصل على ما كنت أطلبه وأسعى إليه وهو السعادة، بل كنت أجد ضيقًا لا يعلمه إلا الله، وكنت أحيانًا أبكي من الهمّ والغم، وأذكر أني في يوم العيد خرجت من المدينة إلى البر من الهم والغم، وأنا وقتها في المرحلة الثانوية.

يا ولدي، مع الهداية تحلو كل متعة وسفر وجلسة وصحبة، وبدونها لا تحلو المتع ولا تستمرّ، لكن قد تجد بعض اللذة، لكنها مؤقتة، سرعان ما تطير وتهجم عليك الهموم والغموم.

فلما وفقني الله للهداية وطريق الاستقامة وجدت السعادة الحقّة، والنعيم الذي لا مثيل له في هذه الحياة.

فليس في الدنيا سعادة تُضاهي السعادة التي ذاقها من آمن بالله واستقام على طاعته، وصدق العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال: وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة، والرضا، والرزق الحسن، وغير ذلك، والصواب أنها حياة القلب، ونعيمه، وبهجته، وسروره بالإيمان، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه

إلا نعيم الجنة[١]. اهـ.

وفي الحياة أشياء كثيرة أعظم من المال تطيب بها الحياة، ففيها ـ وهو أعظمها ـ حبّ الله والتعلّق به، والثقة به، ورجاؤه، والاطمئنان، وستره ورضاه.

وفيها السكينة والرضا والبركة، وقبول الناس ومحبتهم ومودّتهم.

وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة، وليس المال إلا عنصرًا واحدًا يكفي منه القليل.

ولا شكّ أنّ فرح المؤمن الموفّق للعبادة والتقوى بما مَنَّ الله به عليه من الهداية والعلم والعمل به ونشره لا يُقارن بفرحه بكل ما أُوتي من متع الدنيا من المال والمركب وغير ذلك، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أوْلى ما

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٥٩).

يفْرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة[١]. اهـ.

وستصل - إذا وفقك الله لطاعته - إلى مرحلة تنظر إلى من يفرح بمال جاءه، أو منصب حصل عليه، أو شهادة نالها: نظرة إشفاق ورحمة، حيث فرح بما لا قيمة له في الحقيقة؛ لأنه مهما أوتي الإنسان من خيرات دنيوية فإنها ستزول.

ومثل من هذه حاله ومثل غيره: كملك عنده من المال والمتاع والْمُلك ما لا يُحصى، فرأى رجلًا كاد يطير من الفرح لأنه حصل على وظيفةٍ دنيئةٍ بملغٍ زهيد جدًّا، فما هو شعور هذا الملك؟

فإياك أن تبدأ من حيث بدأتُ، بل ابدأ من حيث انتهيت.

السؤال الرابع: هل تضمن ألا تُفتن هناك في دينك، أو عِرضك؟

---

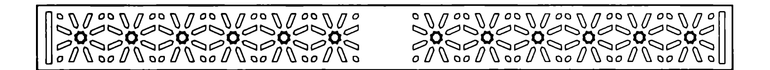
(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٥).

كم من إنسان ذهب هناك فألحد وكفر، بل وانتكست فطرته، وسبّ دينه ووطنه؟

كم من إنسان ذهب هناك فافتُتن بالنساء المتبرجات، فوقع في الحرام، وربما انتقلت إليه الأمراض الخطيرة، كالإيدز والهربس والسيلان، فكم ستعض أصابع الندم حينها.

وما قيمة حياتك إذا انْتَهكت الأعراض، أو تخلّيتَ عن دينك؟





صلاحك دعوةٌ إلى الله بلا كلام

جاءتني يومًا ابنتي مسرورةً فرحة وقالت: «تلقّيت رسالة مفاجئة، فبينما كنتُ أتصفَّح هاتفي إذ وصلَتْني رسالة من إحدى زميلاتي في المدرسة، جعلتني أقف مذهولة، ولساني يلهج بالحمد والشكر لله، أخبرتني أنها أُعجبت بحجابي، وأنها اتخذت قرارًا حازمًا مع نفسها أن ترتدي خمارًا واسعًا ساترًا، وتترك لبس عباءتها التي لم تكن محتشمةً تمام الاحتشام، وأنها بإذن الله لن تعود إلى عباءتها القديمة.

قالت: لقد جعلني هذا الموقف أتذكر تلك العبارات الجميلة، التي لطالَما لامَسَت شغاف قلبي، وهي: من أجمل مفاجآت يوم القيامة أن يأتي ثباتك يجرّ معه جبالَ حسناتٍ لم تعملها، لكنها من آثار مَن اقتدوا بك وأنت صامت!

فثباتك بطاقةُ دعوةٍ توزّعها على المارة بلا حرف، ومحاضرة بلا صوت!

أخبروا الثابتين أن رسالتهم وصلت، رأيناهم فتقوّينا، واعتزّوا بمبادئهم فكان ذلك وقودَنا إلى الله».

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، أي: «﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ من خير أو شر فعلوه في حياتهم، ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما سَنُّوا من سُنّة خير أو شرّ فاقتُدِي بهم فيها بعد موتهم»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله سبحانه يكتب ما عملوه، وما تولد من أعمالهم، فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر، وهو أثر أعمالهم، فآثارهم هي آثار أعمالهم المتولدة عنها[٢].اهـ.

وحدثتني امرأة ثقة أنَّ ابنةَ أختها كانت تلبس الحجاب الكامل الساتر بكلّ عزّة وثبات، فرأتها شابة متساهلة في حجابها، فلحقتها وقالت لها وهي تبكي: لقد تأثرت حينما رأيت حجابك الساتر، وأُعجبت به، وكبرتِ في عيني، ووالله لن ألبس عباءتي هذه بعد اليوم!

---

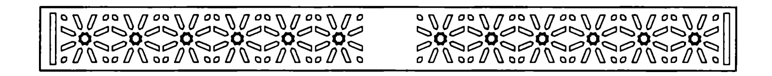
(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٤).

(٢) شفاء العليل (١/ ١٣٦).

فيا بنيّتي: كوني قدوة وداعية إلى الله بثباتك على حجابك.

والدنيا سريعة الانقضاء زائلة، لكن الآثار فيها حيّة باقية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فتخيّلي نفسك ـ **يا بنيّتي** ـ أنك في يوم القيامة وقد جمع الله الأولين والآخرين، وإذا بجماعات من الناس رجالًا ونساءً يأتونك أفواجًا ضاحكين مستبشرين، يقولون: نحن اهتدينا بسببكِ، فيا لفرحتكِ في ذلك اليوم، ويا لِعِظَم فوزك.





فلمّا أسلما وتلّه للجبين

كم أندهش وأتعجّب من ثبات ورباطة جأْش وحزم وعقل ودين نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يسمع من أبيه كلماتٍ لو سمعها جبلٌ فيه روحٌ لانتفض من الفزع، وهرب وجَزع: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾، ورؤيا الأنبياء وحيٌ من الله يجب تنفيذه والعمل به، فتأمل كيف يستشير إبراهيم ابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في نحْر رقبته، وإنهاءِ حياته، فنطق بلا تردد ولا تلعْثم: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

نطق بهذه الكلمات وهو حينها صغير السنّ، لكنه كبير العقل والروح والهمّة.

أذعن وانقاد لأنه يعلم أنه لا اختيار له إذا أمر الله، ولا رأي له إذا أحبّ الله، ولا همّ له سوى تحقيق مراد الله.

فما كانت النتيجة؟

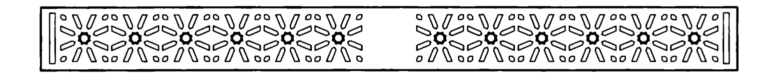
نجا، واجتاز الامتحان، وأعتق الله رقبته، وسلم من الذبح، وفداه بكبش عظيم، ورفعه وأعلا شأنه، وجعل من نسله أفضل الخلق وأكملهم وآخرهم، إنه محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

تعلّم ـ **يا بنيّ** ـ الانقياد لشرع الله، الذي فيه عزك ورفعتك ونبوغك وسلامتك ونجاتك وفلاحك في حياتك ويوم لقاء ربك.

وإذا امتثل إسماعيل عليه السلام لأمر الله في نحر رقبته، أفلا تَمْتَثل أنت لأمره لك في أقلّ من ذلك بكثير؟

بل أمرُه لك فيه حياتك الروحيّة والبدنية، وسعادتك وعزّك ورفعتك ونجاتك وصلاح دنياك.





لماذا امتنع النبي ﷺ من إعطاء ابنته فاطمةَ خادمًا؟

يا بنيّ.. ويابنيّتي.. سأحدثكما عن فاطمةَ رضي الله عنها سيّدة نساء هذه الأمة، التي كان أبوها - ﷺ - يحبها محبة عظيمة جدًّا، وإذا أقبلت إليه ورآها رحّب بها وقال: مرحبًا بابْنَتي، ثم يُجلسها عن يمينه أو عن شماله(١).

ومع كمال حبّه لها، وشفقته عليها، إلا أنه كان يمنعها من بعض حاجاتها، ويرفض أن يُعطيها ما طلبت مع أهميّته لها.

أتته رضي الله عنها يومًا تشكو إليه ما تجد من مشقة إدارة الرَّحى بيدها، وبلغها أنّه جاءه رقيق، من الغنائم التي غنمها من الكفار، فأتته لتسأله رقيقًا ليعينَها بالخدمة، فإنها تتأذى بتفرُّدها في خدمة أهل بيتها.

---

(١) البخاري (٦٢٨٥) ومسلم (٢٤٥٠).

فجاء إلى بيتها فقال لها ولزوجها عليّ رضي الله عنهما: «**ألّا أدلكما على خير ممّا سألتما؟** أي: ممَّا طلبتما من رقيق، «**إذا أويتُما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**».

لماذا منعها من إعطائها خادمًا مع شدة حاجتها له، وكثرة ما يأتيه من الخدم، وقد كان يعطي الناس من هؤلاء الخدم والأموال والنَّعم، وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا! فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[1].

منعه من إعطائها شدّة حبّه لها؛ لأن صبرها على مشقة الدنيا ومكارِهها وأتعابها أعظم في أجرها، وأسلم لها في معادها، وأبعد لها عن التعلّق بالدنيا وميلها لها.

فلا تعلّق نفسك بالدنيا وزخرفها، ووالله لو كان

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٢).

الخير في إقبالها عليك لأعطاها الله أكرم خلقه وأفضلهم وهو نبيُّنا ﷺ، ولأعطاها نبيُّنا محمدٌ ﷺ زوجاته وبناته، فقد مات رسول الله ﷺ ولم يترك عند موته درهمًا، ولا دينارًا، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة[١].



(١) البخاري (٢٥٨٨) ومسلم (١٦٣٥).

كيف أتعامل مع أبٍ لا يحتملني، وأم تغضب مني؟

شكت فتاةٌ يومًا أنّ أمَّها لا تحتملها، وتغضب عند أيِّ تصرُّفٍ لا يُعجِبُها، وأبدَتْ لي حزنها وضِيقها وتكدّر خاطرها على أمّها.

فقلت لها: العاقل يداري من هو أكبر منه سنًّا أو منصبًا أو جاهًا؛ ليأمن من غضبه أو عداوته، فكيف إذا كان الذي هو أكبر منك سنًّا أمك التي حملتك في بطنها تسعة أشهر، ثم أرضعتك صدرَها مدّة طويلة، وقامت على جميع شؤونك عدة سنوات، تزيل عنك الأذى، وتسهر لسهرك، وتبكي لألمك، أليس من أقل حقوقها وجزائها أن تداري طبعها، وتحتملي غضبها، وتصبري على قسوتها؟

كان لصديقٍ لي أبٌ فيه مرضٌ نفسيّ، وكان يؤذيه كثيرًا بسبّه له، وغضبه عليه، فيرأف به، ويصبر على أذاه، وكلما جاء إليه طرده دون سبب، فما زال

يُعامله أحسن معاملة حتى لان طبع أبيه، واستمرّ على ذلك سنوات حتى مات أبوه وهو راضٍ عنه، والعجيب أنّ والده إذا أراد سفرًا اتصل عليه ليذهب به، فيبادر إلى ذلك، مع ما يناله حينها من أذى وسبّ وطرد.

إنه البرّ الذي لا يُوَفَّق له إلا تقيّ صالح، جعلنا الله من البارين بوالديهم.

وعندي لك نصيحتان مهمتان، سترين إن شاء الله ـ إن أخذتي بهما ـ الأثر الكبير في حسن أخلاقك، وانشراح صدرك، وكسب مودّة من حولك:

النصيحة الأول: كوني مُستعِدة ومتهيئة لتحمل طِباع غيرك، ولا تتمسّكي بطِباعك وأخلاقك إذا لم تكن على صواب، ثم تطلبي من الناس أنْ يحتملوك وتقولي: هذا طبعي، فلا بدّ أنْ تُراعوني!

ومن كان هذا طبعُه قلَّ أنْ يصفو له صديق، أو يدوم له رفيق، وأصبح ممْلولًا مكروهًا.

النصيحة الثانية: عليك بخلق التغافل، وهو تصنع الغفلة والتظاهر بها، حيث توهمين من صدرت منه زلةٌ أو موقف محرج أنك لم تشعري به، وهو من

أعظم أسباب راحة البال، والبعد عن المنغصات والمشاجرات.

ومثل مَن لا يتغافل ويتصدّى لأذى الناس له أو لغيره ومن يتغافل عن ذلك: كصفيحتين كبيرتين مَنْصوبتين في العراء، إحداهما مُصْمتة، والأخرى مثقّبة، فحين تهبُّ الرياح تُقاومها الصفيحة المصمتة قليلًا، ثم لا تلبث أن تعصف بها الرياح وتُسقطها، بينما الصفيحة المثقّبة تظلّ صامدةً؛ لأنها لا تتصدّى للرياح، بل تجعلها تمرُّ مع الثقوب وتنجو من قوتها.

والكلام يطير في الهواء، فاجعليه يمضي في طيرانه، ولا تتصَدّي له، فإن فعلت ذلك تأذيتِ أذىً قد يُفسد صحتك، أو يقتل همّتك، أو يُثني عزْمك.

كنت يومًا مسؤولًا في جهة حكوميّة، فرأيت تقصيرًا من شابٍّ ممن كُلّفت بمتابعته، فقلت له بلطف: لعل هذا ليس من عادتك؟

فقال: نعم، ليس من عادتي.

ثم بعد بُرْهة من الوقت سألتُه عن بعض الأمور المتعلّقة بالعمل، فانْفعل وغضب حتى جعل ينتفض

وقال: لقد أثّر عليّ سؤالك، أنا أعمل بجدّ ولا يهمني أحد، وإذا لم تثق بي أرسل إليّ مراقبًا سريًا ليتابعني! وجعل يعاتب ويهذي بما لا يليق، حتى نشف ريقه، وأنا ساكت، فقلت له: إنما سألتك سؤالًا، وبأدب، لم أقل: إنك مفرّط ولا متلاعب، ولولا ثقتي بك لَمَا سألتك، بل سألت عنك زملاءك وراقبتك.

وأنا أعتذر من سؤالي فهل تقبل عذري؟

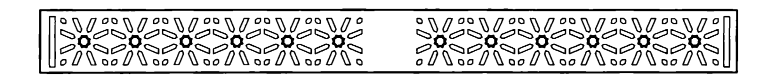
فأُصيب بالحرج وابتسم وقال: أنت لم تخطئ!

فقلت: ما أجملك بالابتسامة، ولا تجعل أحدًا يُغضبك، ولا تجعل الكلام يستفزّك، وكن حليمًا، واجعل صدرك يتّسع وإلا أصبت بالأمراض والهموم.

فانظري كيف أثّر عليه سؤالي، الذي كاد يُمرضه؛ لأنه فهم منه ما لا أقصده، فهم منه أني أعاتبه على تقصيره، وألَمّح له بإهماله، وكلّ هذا من الظن السيئ، ولو أنه أبعد الظن السيئ عنه، وهيّأ نفسه لتقبّل النصح، وعوّد نفسه الحلم وسعة الصدر والتغافل وعدم إعطاء المواقف أكبر من حجْمها لَمَا غضب هذا الغضب، ولَمَا صدر منه ما صدر.

وإذا كان هذا حاله مع هذا السؤال اللطيف، فكيف سيكون حاله مع المواقف الصعبة والمثيرة والمستفزّة؟





الأمن الفكري، والاستقرار النفسيّ

لقد مرّ عليّ خلال سنوات كثيرة مضت من عمري الكثير من الناس، من أقراني وطلابي وأقاربي وغيرهم، فكنت كثير التأمل في حالهم وما آل إليه أمرهم خلال هذه الأعوام، **فرأيت أنهم انقسموا إلى قسمين:**

القسم الأول: قسمٌ عندهم أمنٌ فكري واستقرار نفسي.

وأقصد بالأمن الفكري: نضجُ عقولهم، وصواب آرائهم، وحسن تفكيرهم، وسلامة معتقداتهم.

وأقصد بالاستقرار النفسي: انشراح صدورهم، وسلامتهم من مرض الاكتئاب والوسواس الذي إذا حلّ بنفس قتلها أو أمرضها.

وهؤلاء هم الذين حافظوا على أمور ثلاثة:

الأمر الأول: عقائدهم ودينهم، بالبعد عن

مواطن الشبهات والشهوات، والمحافظة على الصلوات، والعناية بكتاب الله تعالى.

الأمر الثاني: والديهم وأهلهم، بالقرب منهم، وإعطائهم حقوقهم، والأنس بهم، والجلوس معهم، وإيثارهم على غيرهم من الأصحاب والجيران.

الأمر الثالث: تحقيق أهدافهم الدينية والدنيوية.

فهدفهم الديني: تمسكهم بدين الله، وابتغاؤهم مرضاته.

وهدفهم الدنيوي: تفوقهم في دراستهم أثناء الدراسة، وملأ فراغهم بما ينفعهم في صلاح دينهم، كمجالس القرآن، والصحبة الصالحة التي تعينهم على الخير، وبما ينفعهم في صلاح دنياهم، كعمل يتكسّبون منه مالًا حلالًا ينتفعون به، وينفعون أهلهم، وتعلّم حرفة نافعة، ويسعون لتطويرها لتكون من مصادر دخلهم في مستقبل حياتهم

فقد رأيت كثيرًا من هؤلاء، وهم من أسعد الناس، وأحسنهم سيرة، وحياتهم ناجحة، ومكانتهم في قلوب الناس كبيرة.

أعرف أحد هؤلاء، وهو من زملائي، وعمل بما ذكرتُ، فكان متفوقًا في دراسته، وعمل في شبابه، وجدّ واجتهد، وكان عظيم البرّ بوالديه، كثير الجلوس مع أهله وقضاء حوائجهم، وأخبرني أنه لم يكن يُكثر الجلوس مع أصحابه، وليست عنده استراحة، فوفَّقه الله وبارك فيه، حيث اشترى سيارةً بالمال الذي جمعه، وتزوج من ماله لا من مال أبيه، وهو الآن يمتلك مؤسسة كبيرة يعمل فيها قرابة مائتي عامل.

القسم الثاني: قسمٌ ليس عندهم أمن فكري ولا استقرار روحي.

وهم الذين لم يبالوا بعقائدهم ودينهم، ووالديهم وأهلهم، وآثروا أصحابهم وقدموهم على والديهم وأهلهم، ولم تكن لهم أهداف يسعون لتحقيقها.

فقد رأيت من هؤلاء الكثير، وهم من أفشل الناس، وأتعسهم، وأسْوَؤهم أخلاقًا، وأكثرهم همًّا وغمًّا، وأقلهم همّة وبركة وتوفيقًا.

لا هدف لهم في الحياة سوى المتعة الحاضرة، وعندهم تخبّط وتشتت واضطراب.

ولما كبروا ندم أكثرهم، لأنّ سكرة الشباب ولّت، ولما أفاقوا من سكرتهم بعدما كبروا، وجدوا أكثر أقرانهم قد نجحوا في حياتهم ودراستهم، وتزوجوا وتوظفوا، وأما هم، فقد بقوا على ما هم عليه من الفراغ والكسل، فتحترق قلوبهم ندمًا وحزنًا.

فيا بنيّ، كن من أصحاب القسم الأول ولا تكن من أصحاب القسم الثاني، واعتبر بمن سبقك، ولا تكن عبرة لمن يجيء بعدك..

وحياتك الثمينة ليست محلّ تجارب، فقد تجرب وتفشل فشلًا لا تستطيع النهوض بعده، فلماذا تُغامر وتُخاطر؟

لا تجرب شيئًا ثبت فشله، واتضح لك خطره، وأخبرك مَن هو أعلم وأكثر خبرة منك بأنّ عاقبته وخيمة، ونهايته أليمة.

وإني ـ والله ـ لا أعرف واحدًا من أصحاب القسم الأول كانت نهايته سيئة ورديئة وفاشلة، بخلاف أصحاب القسم الثاني، فإنّي لا أحصي من كانت

نهايته سيئة ورديئة وفاشلة، بل بعضهم أصابه شيء من الجنون، وبعضهم جاءه مرض نفسيّ أقعده بيته، بعد أن كان كثير السفر والذهاب واللعب.



قل لي من تجالس أقل لك من أنت

لا أعرف أشدّ تأثيرًا على الإنسان من أصحابه، فمن كانت صحبتُه صالحةً تأثر بصلاحهم، وصلُح حاله ولابدّ، ومن كانت صحبتُه فاسدةً أو غافلةً تأثر بفسادهم وغفلتهم، وفسد حاله ولابدّ.

وكلُّ الأصدقاء والأخلاء سينقلبون يوم القيامة أعداء، إلا من كانت صحبته لصديقه لأجل الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عَزَّ وَجَلَّ فإنه دائم بدوامه. اهـ.

وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾.

وإذا لم تستطع مُعاداته في الظاهر، فَدَارِه قَدْرَ الإمكان.

تجنب صديق السوء واصْرم حباله
فإن لم تجد منه مَحيصًا فداره

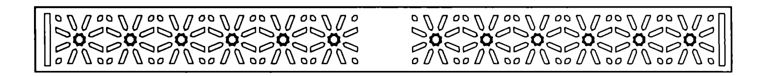
وامتلاء قلبك من محبّة الأصدقاء الغافلين أو الفاسدين، والتعلّق بهم، وكثرة مُجالستهم: يُسَوِّده ويقَسّيه، ويؤدّي إلى تشتُّتِه وتفرُّقِه، وهمِّه وغمِّه وضعفِه، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟

«هذا، وكم جلبت خلطةُ الناس من نقمة، ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محْنة، وعطَّلت من منْحة، وأحلَّت من رزيَّة، وأوقَعْت في بليَّة؟ وهل آفةُ الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضرُّ من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمةٍ واحدةٍ توجب له سعادة الأبد.

وهذه الخلطة التي تكون على نوعِ مودَّةٍ في الدنيا، وقضاءِ وطَرِ بعضِهم من بعض تنقلب إذا حَقَّت الحقائق عداوة، ويَعَضُّ الْمُخالط عليها يديه ندمًا»[(١)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٣).



فنّ إطفاءِ جمرةِ الغضب

إنك ولا شك قد مرّ بك موقفٌ غضِبَ فيه أبوك عليك، أو تهجّم عليك أحد، أو عاتبَتْك أمُّك أو غيرها، فعُد بذاكرتك إلى تلك المواقف واسأل نفسك: كيف تعاملت معها، وهل أثرت عليك وآلَمَتك؟

إنك لازلت في مقتبل عمرك، وتغيير طباعك وتهذيبها سهلٌ جدًّا، فسأنصحك في مثل هذه المواقف بهذه النصيحة:

تعلّم فنّ إطفاءِ جمرةِ الغضب، وتحويل المواقف العصيبة إلى مواقف جميلة، وقلب غضب الغاضب إلى مرح.

وذلك بأن تحاول بلطف وحكمة إدخال طرفة في الموقف، أو الانسحاب بأدب واعتذار.

أذكر أني رأيت رجلًا في دكان يدخن السيجارة

فنصحته وقلت له: إنه يؤثر على صحتك، فقال مستهزئًا: بالعكس هو مفيد، فقلت له: هو حرام، فقال: هل صعدت إلى السماء وأخبرك الله بأنه حرام!

حينها انسحبت بلطف، وعلمت أنه معاند مكابر، والجدال معه عقيم، وقد يكون في جدالي معه انتصارٌ للنفس.

فلما انتهيت من حاجتي ذهبت إليه وودعته بابتسامة، فرأيت في وجهه الحياء، فلما ركبت سيارتي استقبلني بابتسامة ورفع يديه تحيةً لي.

واتصل عليّ مرة رجلٌ فقال لي معاتبًا: لو بعتك بالسوق لَمَا كنت تسوى ريالين، فقلت له مداعبًا: إذا اشتراني أحد بريالين فأنا المحظوظ، فانقلب غضبه إلى فرح، وسمعت منه عبارات الثناء.

وإذا فعلت مثل هذا لن تخسر أبدًا، بل أنت الرابح على كلّ حال، وإذا فعلت ذلك محتسبًا الأجر من الله حزت الغنائم الكثيرة العظيمة، ومنها:

١ ـ رضا ربك؛ فإنّ الله تعالى قد أمرنا بأن نقول أحْسن العبارات في كل الحالات: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى

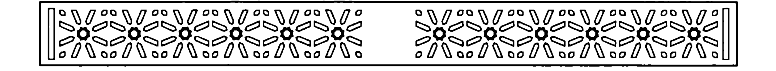
يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾، «فالشيطان ينزغ بينهم إذا كلَّم بعضهم بعضًا بغير التي هي أحسن، فرُبَّ حربٍ وقودُها جُثَث وهَام، أهاجَها القبيحُ من الكلام»(١).

٢ ـ انشراح صدرك وزال همّك، فكلّ من جرّب الردّ الجميل على القبيحِ من الكلام شعَر بلذّة وسعادة لا تُوصف. .

٣ ـ محبة الناس لك وحسن علاقتك معهم، وهذا أمرٌ واضحٌ جليّ.



(١) الطرق الحكمية (ص٤١).



اقنع بدنياك واطمع في آخرتك

يا بنيّ، قناعتك بما أعطاك الله من الدنيا، وطمعك في التزود والاستكثار من الطاعات والقربات والأجور: هو عينُ العقل ورأسُ الحكمة.

وبعض الناس - نسأل الله السلامة والعافية - على عَكْس ذلك: يقنَع بما عمل من فرائض، ويطمع في الدنيا ويلهث وراءها.

وإذا أردت - يا بنيّ - نيلَ الفلاحِ الذي يجمع لك كلّ خير في دينك ودنياك، ويُجنّبك كلّ شرّ في دينك ودنياك فعليك بتحصيل أسبابه، وهي ثلاثة:

السبب الأول: حسن إسلامك لربك.

السبب الثاني: أن توفق لكسبٍ طيب يكفيك ولا يُطغيك.

السبب الثالث: قناعتك بما قسَمَه الله لك.

قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح من أسْلم، ورُزق**

كفَافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»[١].

«والفلاح اسم جامع لحصول كلّ مطلوب محبوب، والسلامة من كلّ مخوف مهوب.

وذلك أنّ هذه الثلاث جمعت خير الدين والدنيا، فإنّ العبد إذا هُدِي للإسلام الذي هو دين الله، الذي لا يقبل دينًا سواه، وهو مدار الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وحصل له الرزق الذي يكفيه ويكفّ وجهه عن سؤال الخلق، ثمّ تمّم الله عليه النعمة، بأن قنَّعه بما آتاه، أي: حصل له الرضا بما أوتي من الرزق والكفاف، ولم تطمح نفسه لما وراء ذلك: فقد حصل له حسنةُ الدنيا والآخرة.

فإنّ النقص بفوات هذه الأمور الثلاثة أو أحدها:

- إمّا أن لا يُهْدَى للإسلام: فهذا مهما كانت حاله فإنّ عاقبته الشقاوة الأبديّة.

- وإمّا بأن يُهْدَى للإسلام ولكنّه يُبْتَلى: إمّا بفقرٍ ينسي، أو غنى يطغي: وكلاهما ضرر ونقص كبير.

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٤).

ـ وإمّا بأن يحصل له الرزق الكافي موسعًا أو مقدّرًا، ولكنّه لا يقنع برزق الله، ولا يطمئن قلبه بما آتاه الله: فهذا فقير القلب والنفس.

فإنّه ليس الغنى عن كثرة العَرَض[١]، إنّما الغنى غنى القلب، فكم من صاحبِ ثروة وقلبُه فقير متحسّر، وكم من فقيرِ ذاتِ اليد وقلبُه غنيٌّ راضٍ قانعٌ برزق الله»[٢].

ومعنى قناعتك بدنياك: أن ترضى بما رزقك الله وقسَم لك من حظوظ الدنيا وخيراتها ومتعها المباحة، وتسعى إلى تحصيل ما يكفيك، وتترك الاستكثار والتوسّع المفرط.

وكلّ مَن يسعى إلى الاستكثار والتوسّع المفرط يعيش في همّ وتشتت فكر ـ إلا ما شاء الله ـ، وربما أرهقه الجمع، وأطغاه الطمع، فعجز وتعب وخسر ومرض، كما هو مشاهد ومحسوس.

---

(١) الْعرَض: يَعْني كَثْرة المال والْمَتاع، ويُسمى عرضا لأَنَّهُ عارض يعرض وقتًا ثَمَّ يَزُول ويفنى.

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للسعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص١٦٧).

والتجارة رزق، والرزق مقسّم بين الناس، لا يزيده حرص حريص، ولا ينقصه بخل بخيل.

والغاية النبيلة من التجارة: أن تستغني بتجارتك عن مسألة الناس، وتنفق على أهلك ومن تعولهم بالمعروف، ومتى كان هذا مقصدك باركِ الله لك في تجارتك، وكانت مصْدَر سعادة لك ولأهلك وأولادك إن شاء الله.

واعلم - **يا بنيّ** - أن النفس إذا رأت منك الطمع والميل إلى شيء ألَحَّتْ عليك وصرفت ذهنك إليه، وإن رأت منك صدودًا وإعراضًا: أعرضَت وتركَتِ الإلحاح.

«كان أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كنت بالعراق، أمر عَلَى تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم التي للملوك، فلا تلتفت نفسي إِلَى شيء من ذلك، وأمر عَلَى التمر، فتكاد نفسي تقع عليه، فذكرتُ ذلك لبعض العارفين فَقَالَ: تلك الشهوات آيَسَ نفسَه منها فآيَسَتْ، والتمرةُ أطْمَعَها فيه فطمِعَت، كما قيل:

صبرتُ عَلَى اللذات حتى تولت
وألزمتُ نفسي هَجْرَهَا فاسْتَمَرَّتِ

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإنْ أُطْمِعت تاقت لها وإلا تَسَلَّتِ

وكانت عَلَى الأيام نفسي عصيّة
فلما رأت عزمي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ»[(١)]

فمتى رأت منك نفسك الرغبة في شيء رغبت، ومتى رأت منك القناعة قنعت، وصدق القائل:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رغَّبْتَها
وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وأما ما يتعلّق بآخرتك فكن حريصًا على طلب المزيد، فقد أمرك الله بالمسارعة والمسابقة، وكلما علَت همّتك فسارعت وسابقت ونافست وبادرت فُتحت لك أبواب السعادة والأنس بالله، والبركة والتوفيق.

ولا يغِبْ عنك قول النبيّ ﷺ: «**من كانت الآخرةُ همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمَع له شمْله،**

(١) الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب (ص١٩٧).

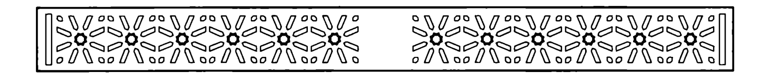
وأتتْه الدنيا وهي راغِمة، ومن كانت الدّنيا همَّه جعل الله فقره بين عيْنيه، وفرَّق عليه شمْله، ولم يأْته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[١].

فإذا كانت الآخرةُ همَّك جعل الله غناك في قلبك، بأنْ يُقنّعك بما رزقك ولو كان قليلًا، ويبارك لك فيه، وجمَع لك أمورك المتفرقة، بأن جعلك مجموع الفكر طيب الخاطر، وأتتْك الدنيا وهي راغِمة، بأن يفتح أبواب الرزق لك.

وإذا كانت الدّنيا همَّك جعل الله فقرك بين عيْنيك، بأن تتخيل دائمًا أنك ستفتقر، وإذا خسرت شعرت أنك خسرت كل شيء، فتكون دائمًا خائفًا وجلًا بائسًا، فلا تزال فقير القلب حريصًا على الدنيا منهمكًا فيها وإن كنت كثير المال، فلا يساورك إلا النقص فتسعى للمزيد، فيتفرق عليك أمرك، وينشغل ذهنك، ويتكدّر خاطرك، ولم يأْتك من الدنيا إلا ما قُدِّر لك وكُتب لك.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٥٩٠) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط رحمه الله، وأخرجه الترمذي (٢٤٦٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.



احذر العنكبوت

دعوت الله قبل أنْ أنام: اللهم أعِذْني من كيْد الشيطان ومكْره ووسْوسته، فنمت ثم أيقظتني رؤيا رأيتها، وهي أن عنكبوتًا ضخمًا جدًّا، أكبر من حجم الإنسان، مرتفع على أعْمدة الكهرب، ووجهه مخيفٌ جدًّا، وأرى فيه المكر والتربّص والشر، وهو يحيك خيوطه العريضة الطويلة ليصطاد فرائسه بمكر وخفية، ورأيتُه يترصّد للناس وهم لا يرونه، وأنا أقول: لماذا هؤلاء الناس في غفلة وهو يحيك خيوطه ليوقعهم في شراكه؟

فقمت من النوم وأنا أشْعر أنه الشيطان، الذي يحيك بمكره وخِدَاعه شباكه ليصطاد الناس الغافلين، وشباكُه هي الشهوات المحرمة، والغفلة، واتباع الهوى، ومِن أعظمها في هذا الزمان: الشبكة العنكبوتيّة، وهي ما تشير إليه الرؤيا، حيث بثّ الشيطان من خلالها سمومه، وفَتَن بها أغلب الناس، وأدْمنوا عليها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكم اصطاد بخيوطه الخبيثة الخفيّة من غافل، وكم دخل في شباكه من أناس غفلوا عن عدوّهم الذي يترّبص بهم.

فكن متيقّظًا على الدوام، وتمسّك بالقرآن قراءةً وتدبّرًا، فهو يُوقفك على تفَاصيل مكْره وخِداعِه وشِبَاكه، حتى لا تقع بها ثم لا تستطيع الخلاص منها، فتندم في يومٍ لا ينفع فيه النَّدم.

ولا تغفل عن عدوّك الذي هو أشد الأعداء عداوةً وحقدًا عليك، وبغضًا لك، وليس من العقل أن تتخذه وليًّا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

«يقول سبحانه لعباده: أنا أكرمتُ أباكم، ورفعت قدْره، وفضَّلته على غيره، فأمرت ملائكتي كلَّهم أن يسجدوا له، تكريمًا له وتشريفًا، فأطاعوني، وأبى عدوّي وعدوّه، فعصى أمري، وخرج عن طاعتي، فكيف يحسن بكم بعد هذا أنْ تتَّخذوه وذريّته أولياء

من دوني، فتطيعونه في معصيتي، وتوالونه في خلاف مرضاتي، وهم أعدى عدوٍّ لكم؟ فواليتم عدوِّي وقد أمرتُكم بمعاداته..

فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوَّه وعدوَّ وليِّه ومولاه الذي لا مولى له سواه؟

ونبَّه سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾، كما نبَّه على قبحها بقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، فتبيَّن أن عداوته لربه وعداوته لنا، كلٌّ منهما سببٌ يدعو إلى معاداته، فما هذه الموالاة؟ وما هذا الاستبدال؟ بئس للظالمين بدلا.

ويُشْبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوعٌ من العتاب لطيف عجيب، وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي فكانت معاداتُه لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أنْ عقدتم بينكم وبينه عقْدَ المصالحة؟»[1].

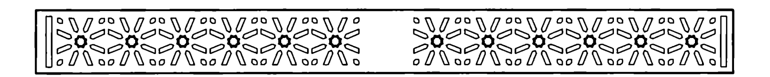
ولقد نهانا الله عن اتباع خطواته، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) الجواب الكافي (ص٨٣).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فإنه لا يأتي الإنسان من أول مرة ويأمره بالكفر أو المعاصي الكبيرة، بل يبدأ معه بفتح باب المباحات والتوسّع فيها، وهذه أولى خطواته، ثم إذا فعل ذلك انتقل به إلى الخطوة الأخرى وهي تسهيل المعاصي الصغيرة، والتكاسل عن بعض الطاعات، ثم إذا فعل ذلك انتقل به إلى الخطوة التي تليها، حتى يقع في الكبائر، ويترك الفرائض، ثم قد يقع في الشرك الأكبر والعياذ بالله.





تعلّم من الناس أو اعْتبر بهم

هذه الحياة فرصة كبيرة لك لتتعلّم من كلّ شيء، وتستفيد من كل شيء، وطُرق التعلّم والاستفادة ليست محصورة في كتاب تقرؤه، أو معلّم يعلّمك، أو أب يُوجّهك، أو أمّ تربيك، بل هذه الحياة وما فيها من عبر وأحداث ومواقف هي مدرسة تتعلّم منها.

واجعل هذه القاعدة نصب عينيك: تعلّم من الناس أو تعلّم بهم.

والناس صنفان:

الصنف الأول: حسن الخُلُق، طيب التعامل، أو مستقيم على دين الله، فتتعلّم منه مكارم الأخلاق، والاستقامة، وتتأثر به وبأفعاله وتقتدي به.

فإذا تأملت في البشوش، وكيف يعيش في راحة، وكيف يُحبّه الناس: تعلّمت منه هذا الخلق، وسعيت في تحصيله.

وإذا رأيت الحليم، وكيف يعيش بطمأنينة، وكيف يتعامل بحكمة ورفق مع المواقف الصعبة، وأخلاق الناس السيئة: تعلّمت منه هذا الخلق، وسعيت في تحصيله.

وإذا رأيت المستقيم طيب النفس، منشرح الصدر، موفقًا في أموره، تعلّمت منه حبّ الاستقامة، وأنها من أعظم أسباب انشراح الصدر والتوفيق والخير في مصالحك الدينية والدنيوية.

الصنف الثاني: سيّئ الخُلُق، شرس التعامل، أو منحرف ضالّ، فتعْتبر بأخطائه وتكتسب كراهة مساوئ الأخلاق، والنّفرة منها، ومن الانحراف والضلال.

فإذا رأيت سريع الغضب اعْتبرت وأبغضتَ الغضب.

وإذا رأيت البخيل اعْتبرت وأبغضتَ هذا الخلق.

وإذا قسا عليك أحد اعْتبرت وكرهتَ كراهة العنف وأحببتَ الرفق.

وإذا لامك أحد لومًا شديدًا على أمر لا يستحق

اللوم تعلّمت من ذلك كراهة هذا اللوم العقيم، فتحذر أن تتعامل به الآخرين.

وهكذا.

وإذا رأيت المنحرف الضال الغافل خبيث النفس، ضيّق الصدر، غير موفق في أموره، تعلّمت من ذلك قبح الانحراف والغفلة، التي هي من أعظم أسباب ضيْق الصدر ونزع البركة والتوفيق والضرّر في مصالحك الدينية والدنيوية.

ولقد استفدت من سيِّئ الأخلاق أكثر من استفادتي من حَسَن الأخلاق، وكانت تصرّفاته معي أو مع غيري أكبر منفّر لي عن أخلاقه.

وقد تُبتلى - **يا بنيّ** - بالاجتماع بسيّئ الأخلاق في مكان لا مجال فيه من الانفكاك عنه؛ كالوظيفة أو القرابة ونحوها، فاجعلها فرصةً لترويضِ النفس وتهذيبها أولًا، ثم للتّدرّب على كسبِ عسير الخُلق ليسهل عليك كسْب سهْل الخُلق، فهؤلاء غالبًا لا تبحث عنهم وقت السّعة والرخاء، وإذا ابتُليتَ بهم فاصبر عليهم وأحسن التعامل معهم احتسابًا للأجر، وتمرينًا لنفسك وترويضها وتهذيبها.

وإذا خُيّرتَ بين الذهاب لدكانين، أحدهما صاحبه حسن الخلق، يبش في وجهك، ويُلين كلامه معك، والآخر صاحبه سيئ الخلق، يعبس في وجهك، ويُخاطبك بفظاظة، مع عدم اضْطرارك إليه، فأنت تجد حاجتك عند غيره.

فإلى أيّهما ستذهب؟

لا ألومك إن قلت: سأذهب إلى الأول، لكني أنصحك أن تذهب إلى الثاني؛ لتتعَلّم به الحلم وكظم الغيظ والرفق والتواضع تطبيقًا عمليًّا يقوّم أخلاقك.

أعرف من يذهب إلى صاحب دكان يبيع الخبز لا أظنّ أنّ أحدًا أشدّ عبوسًا منه، ولا أفظّ كلامًا منه، ويقصد الذهاب إليه ويختاره على غيره، مع أنّ حاجته يجدها عن غيره، لكنّه يختاره ليتدرّب ويتمرّن على الحلم، ويهذّب به نفسه، ويُحسِّن به أخلاقه، مع أنه ينْتهره أحيانًا إذا سأله عن بعض الأمور.

ومرة طلب منه خبزًا، فمكث مدة ولم يعطه، فقال: أين نصيبي؟ فقال: اصبر لما العجلة؟ بأسلوب فظّ ووجه عابس، فنَظر إلى ساعته فإذا هو قد تأخّر

عن موعدٍ له، فاستأذنه في الذهاب وعدم الشراء، فقال بفظاظة: اذهب، وهو يستطيع أن يذهب دون أخذ الإذن منه، لكنه أراد أن يهذّب نفسه ويعلّمها الأدب والحلم والصبر.

ثم رجع إليه بعد مدّة وعزم على إيجاد الأسلوب الأمثل للتلطّف معه وكسب مودّته، وترقيق طبعِه؛ تقرّبًا إلى الله، وتهذيبًا لنفسه، وتعويدها مكارم الأخلاق، فذَهب إليه، ثم سأله عن دولته ومدينته، وجعل يجيب بانشراح صدر، ثم ضمّه إلى صدره وقال له: إني أحبّك، فتهلّلت أسارير وجهه وابْتسم، ثم أخذ الخبز وودّعه، فحيّاه الخبّاز مبتسمًا.

لقد استفاد هذا الرجل عدة فوائد منها:

١ ـ التقرب إلى الله بالتعامل الحسن مع الناس كما أمر الله تعالى بذلك.

٢ ـ تهذيب نفسه وتعويدها على الحلم والرفق والصبر، فقد واجه بعد هذا الموقف عدة مواقف فيها قسوة من بعض الناس، فلم تؤثِّر عليه قيْد أنملة.

٣ ـ إشاعة المحبة بين الناس، وإدخال السرور

على قلوبهم، فقد يكون هذا وأمثاله يعانون من هموم كثيرة، وأمراض نفسيّة، وضغوطِ الحياة، فبأخلاقه ولطفه يخفّف عنهم هذه الهموم والأمراض والضغوط، ومن أعظم الأعمال عند الله: سرور تدخله على مسلم.



الخاتمة

هذا ما تيسر ذكره من مواقف وعبر ونصائح وتوجيهات منّ الله بها عليّ من خلال التأمل في الكتاب والسُّنّة، والحياة المليئة بالعبر والقصص والمواقف.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

١ ـ حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).
٢ ـ مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.
٣ ـ إرْشادُ السَّاجِدِ بأسْبابِ الخِلَافِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.
٤ ـ الْإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاسِ والْاسْتِحَاضَةِ.
٥ ـ كَيْفَ تُرَبِّيَ أَولادك؟ (الطبعة الثانية).
٦ ـ بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأَسْبَابُ والْعِلَاجُ.
٧ ـ حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.
٨ ـ آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنَائِه ورُسُوخِه.
٩ ـ الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.
١٠ ـ عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.
١١ ـ الْمَعيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوَائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.
١٢ ـ مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي الْتَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَى الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.
١٣ ـ تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.
١٤ ـ مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.

١٥ ـ قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِدِيْن والْمُشَكِّكيْن والْمُوسْوِسيْن، معَ بَيَانِ طُرُقِ إِقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.
١٦ ـ الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.
١٧ ـ عِبَاراتٌ أَثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي. (الطبعة الثانية).
١٨ ـ عَبْقرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. (الطبعة الثانية).
١٩ ـ بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ. (الطبعة الثانية).
٢٠ ـ صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).
٢١ ـ صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.
٢٢ ـ الْأُنْسُ بِاللّٰه تَعَالَىٰ. (الطبعة الثانية).
٢٣ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. (الطبعة الثانية).
٢٤ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. (الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَة).
٢٥ ـ فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ.
٢٦ ـ الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.
٢٧ ـ غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاء.
٢٨ ـ نَثْرُ الْخَوَاطِرِ.
٢٩ ـ حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.
٣٠ ـ نصيحَتِي لك يا وَلَدِي.
٣١ ـ فَلَذَاتُ الْأَكْبادِ.